انتخابات فلسطين بعد 20 عامًا.. تجديد للشرعية مشوب بمحاذير

ص2

الأرجنتين تتسلح بالتاريخ للدفاع عن لقب المونديال

ص11

يُزهر فينا لوحات تونسية تعيد ثقتنا في الصمت

ص8

العرب

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

أسسها: أحمد الصالحين الهوني

السبت - الأحد 11 - 2026/07/12

26 - 27 المحرم 1448 السنة 49 العدد 13858

Saturday - Sunday 11 - 12/07/2026

49th Year, Issue 13858

www.alarab.co.uk

أيُّ الخيارين أقرب إلى إنهاء الحرب على إيران: القوة أم الوساطة؟

واشنطن تراهن على الضغط العسكري لفرض شروط التفاوض

واشنطن - عادت الحرب بين الولايات المتحدة وإيران لتفرض سؤالاً يتجاوز حسابات الميدان إلى مستقبل الصراع نفسه: هل تستطيع القوة العسكرية إنهاء المواجهة، أم أن الوساطة الدبلوماسية تبقى الطريق الأقرب إلى وقف الحرب؟

ومع انهيار الهدنة التي كان يُفترض أن تفتح الباب أمام مفاوضات تمتد ستين يوما، وعودة الضربات المتبادلة، تبدو المنطقة أمام اختبار جديد لجدوى سياسة "الضغط الأقصى" التي تتبناها واشنطن في مواجهة طهران، في مقابل رهان متزايد على أن الحل السياسي، مهما طال، يظل أقل كلفة من استمرار المواجهة العسكرية.

وتشير تحليلات صادرة عن مراكز أبحاث غربية إلى أن الإدارة الأميركية تنظر إلى القوة العسكرية باعتبارها أداة لإجبار إيران على العودة إلى طاولة المفاوضات بشروط جديدة، وليس باعتبارها وسيلة لإسقاط النظام الإيراني أو خوض حرب شاملة.

ويستند هذا التقدير إلى اقتناع بأن التفوق العسكري الأميركي يمنح واشنطن القدرة على إلحاق خسائر كبيرة بالبنية العسكرية الإيرانية، وإضعاف قدراتها الصاروخية ومنشآتها العسكرية، بما يرفع كلفة استمرار المواجهة على القيادة الإيرانية ويدفعها، في نهاية المطاف، إلى التفاوض.

> الضربات الجوية قد لا تكون كافية لإجبار طهران على تغيير حساباتها إذا اعتبرت أن التراجع سيضعف مكانتها

وتوضح مؤسسة "أوكسفورد إيكونوميكس" أن الرئيس الأميركي دونالد ترامب يطبق في الأزمة الإيرانية النهج ذاته الذي اتبعه في ملفات أخرى، والقائم على إستراتيجية "حافة الهاوية"، أي رفع مستوى الضغوط إلى أقصى حد قبل فتح الباب أمام التسوية.

ومن هذا المنطلق جاءت الضربات الأميركية المكثفة التي استهدفت عشرات المواقع العسكرية الإيرانية، في رسالة مفادها أن الولايات المتحدة مستعدة لاستخدام القوة إذا رفضت طهران تعديل سلوكها، لكنها، في الوقت ذاته، تُبقي الباب مفتوحا أمام العودة إلى المسار السياسي.

غير أن هذا الرهان يصطدم، بحسب خبراء عسكريين، بطبيعة التفكير الإستراتيجي الإيراني. فوفقًا لتحليل صادر عن معهد دراسة الحرب، بالتعاون مع مشروع التهديدات الحرجة، تنظر القيادة الإيرانية إلى السيطرة على مضيق هرمز باعتبارها جزءا من أمنها القومي وأداة رئيسية لترسيخ نفوذها الإقليمي، وهو ما يجعلها مستعدة لتحمل كلفة عسكرية باهظة مقابل عدم تقديم تنازلات في هذا الملف.

ولذلك قد لا تكون الضربات الجوية، مهما بلغت شدتها، كافية لإجبار طهران على تغيير حساباتها إذا اعتبرت أن التراجع سيضعف مكانتها الإستراتيجية في الخليج.

وتحذر تقارير مراكز أبحاث غربية من أن افتراض الولايات المتحدة أن إيران ستتراجع تلقائيا أمام التفوق العسكري قد لا يكون دقيقا، لأن طهران تمتلك خيارات متعددة للرد، من بينها شن حرب استنزاف طويلة باستخدام الطائرات المسيّرة والصواريخ الباليستية، واستهداف القواعد الأميركية في الخليج، أو تهديد الملاحة في مضيق هرمز.

وفي هذه الحالة قد تجد واشنطن نفسها مضطرة إلى توسيع عملياتها العسكرية لحماية قواتها وخطوط إمداد الطاقة، بما يفتح الباب أمام مواجهة إقليمية يصعب احتواؤها.

كما يواجه خيار القوة قيودا سياسية داخل الولايات المتحدة نفسها. فالرئيس ترامب، رغم تبنيه خطابا متشددا تجاه إيران، يدرك أن الانخراط في حرب طويلة أو إرسال قوات برية إلى الداخل الإيراني يتعارضان مع وعده الانتخابي بعدم خوض "حروب أبدية"، فضلاً عن الكلفة الاقتصادية والبشرية التي قد تتحملها الولايات المتحدة إذا تحولت المواجهة إلى نزاع مفتوح.

وفي المقابل يرى عدد متزايد من المحللين أن الوساطة تبقى الخيار الأكثر واقعية لإنهاء الحرب، استنادا إلى التجارب السابقة التي أظهرت أن فترات التهدئة بين واشنطن وطهران لم تكن نتيجة الحسم العسكري، بل جاءت عبر مفاوضات غير مباشرة رعتها أطراف إقليمية ودولية، وفي مقدمتها سلطنة عُمان، التي لعبت دورا محوريا في تقريب وجهات النظر بين الطرفين خلال محطات سابقة.

ويستند هذا الرأي إلى أن الولايات المتحدة وإيران تمتلكان دوافع قوية لتجنب استمرار الحرب. فواشنطن لا ترغب في اندلاع أزمة طاقة عالمية جديدة تؤدي إلى ارتفاع أسعار النفط وزيادة معدلات التضخم، وهو ما قد ينعكس سلبا على الاقتصاد الأميركي.

في المقابل تدرك طهران أن استمرار الضربات سيؤدي إلى المزيد من الاستنزاف الاقتصادي والعسكري، في وقت تواجه فيه البلاد تحديات داخلية وضغوطا خارجية متصاعدة.

ويحذر خبراء الاقتصاد من أن أي تصعيد واسع في مضيق هرمز قد يحول الحرب إلى أزمة عالمية، إذ إن الإغلاق الكامل للمضيق أو استهداف ناقلات النفط سيؤديان إلى اضطرابات كبيرة في أسواق الطاقة وارتفاع حاد في أسعار النفط، وهو سيناريو لا يخدم أيًا من طرفي الصراع، بل قد يدفع المجتمع الدولي إلى تكثيف الضغوط من أجل العودة إلى طاولة المفاوضات.

إستراتيجية حافة الهاوية

دعم عشائري يمنح الحملة على الفساد في العراق بعدًا شعبيًا

بغداد - تكتسب الحملة على الفساد التي يقودها رئيس الوزراء العراقي علي الزيدي زخمًا متزايدًا، ما يرفع من فرص نجاحها في اجتثاث الظاهرة التي استشرت على مدى سنوات، وتحولت إلى عائق أمام التنمية وبناء الاقتصاد وتحسين الأحوال المعيشية والارتقاء بمستوى الخدمات المقدمة للسكان.

وتعتمد الحملة على قوة القانون لمحاسبة الفاسدين واسترداد ما أمكن من الأموال المنهوبة، لكن أبرز ما يمنحها قدرًا من التميز هو الدعم الشعبي الواسع الذي تحظى به، والذي تجسده وفود عشائرية تمثل مختلف مناطق البلاد ومكوناتها العرقية والطائفية.

وأعلنت وفود تمثل عددًا من عشائر العراق، الجمعة، تأييدها ودعمها لحملة ملاحقة المتورطين في قضايا الفساد المالي من النواب والمسؤولين الحكوميين.

وأوردت وكالة شفق نيوز الإخبارية أن الوفود العشائرية اجتمعت في مضيف الشيخ نايف رشيد أبوزعيان بمحافظة الأنبار، أحد أبرز وجهاء المحافظة، لإعلان تأييدها لحملة رئيس الوزراء علي الزيدي والسلطة القضائية في مكافحة الفساد.

وتُعد الأنبار، وهي أكبر المحافظات الواقعة غربي العاصمة بغداد، معقلًا رئيسيًا للمكون السني، لذلك يكتسب تأييدها للحملة أهمية استثنائية في نفي أي بعد طائفي عنها. وجاء هذا الدعم ردًا عمليًا على محاولات التشويش التي استندت إلى أن أحد أبرز الموقوفين حتى الآن، وهو عدنان الجميلي، وكيل وزارة النفط لشؤون التصفية، ينتمي إلى هذا المكون، كما شملت الحملة مثنى السامرائي، رئيس تحالف العزم، ثاني أكبر القوى العربية السنية من حيث عدد المقاعد التي حصل عليها في الانتخابات الأخيرة.

وفي أحدث تعليق له على الحملة، نفى الزيدي بشدة ممارسة "أي انتقائية في التعامل مع ملفات الفساد"، مؤكدًا في مقابلة تلفزيونية أنه "لا توجد خطوط حمراء في حماية المال العام"، ومنذرًا المتهمين بالفساد بأنه "ليس أمامهم سوى إعادة الأموال المنهوبة"، في إشارة إلى مواصلة ملاحقتهم داخل العراق وخارجه.

وأكدت الوفود العشائرية دعمها لجهود الحكومة الرامية إلى مكافحة الفساد وتعزيز سلطة القانون، مشددة على أهمية المضي في محاسبة الفاسدين وحماية المال العام بعيدًا عن الضغوط أو الاعتبارات السياسية.

وكان عدد من عشائر وسط وجنوب العراق، حيث يتركز أبناء المكون الشيعي، قد أعلن أيضًا تأييده لحملة رئيس الوزراء لملاحقة المتورطين في ملفات الفساد المالي، عقب انطلاقها في بغداد وعدد من المحافظات وإلقاء القبض على عشرات المتهمين.

وانطلقت حملة الاعتقالات فجر الأحد الثامن والعشرين من يونيو الماضي، وطالت مسؤولين سياسيين ونوابًا ورجال أعمال، ضمن حملة مكافحة الفساد التي وصفها الزيدي بأنها "المرحلة الأولى" من إجراءات أوسع.

كلمة العرب

بقلم: محمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير

معركة الإعلام قبل معركة السياسة

الحروب ليست وحدها ما يحدد مصير الدول بعد سقوط الأنظمة أو انتهاء الصراعات؛ ففي الكثير من الأحيان تبدأ المعركة الحقيقية عندما يتوقف إطلاق النار. عندها ينتقل الصراع من الجبهات العسكرية إلى المؤسسات، ومن السيطرة على الأرض إلى السيطرة على الإعلام. وفي سوريا، التي تحاول الخروج من سنوات طويلة من الحرب والانقسام، يبدو الإعلام أحد أهم ميادين هذا التحول. فهو لم يعد مجرد ناقل للأحداث، بل ساحة تتنافس فيها رؤيتان متناقضتان للدولة والمجتمع والشرعية.

السؤال الذي يواجه السوريين اليوم لا يتعلق فقط بمن يحكم، بل بكيفية بناء المجال العام الذي يناقش السلطة ويحاسبها ويعيد صياغة العلاقة بين الدولة والمواطن. والإعلام يقف في قلب هذا السؤال، لأنه المؤسسة التي ستحدد ما إذا كانت سوريا ستتجه نحو ثقافة سياسية جديدة أم ستعيد إنتاج أنماط الماضي بأدوات مختلفة.

في هذا السياق، يبرز تياران متعارضان. الأول يمكن وصفه بإعلام إعادة إنتاج السلطة، وهو إعلام لا يقتصر على مؤسسات بعينها، بل يمثل ذهنية سياسية ترى أن الاستقرار لا يتحقق إلا من خلال خطاب أحادي يختزل الدولة في السلطة، ويعتبر التعددية مصدر تهديد لا مصدر قوة. هذا الخطاب يوجه لجمهور أنهكته الفوضى بعد سنوات الحرب، مقدما معادلة تبدو بسيطة: الأمن أولاً، وما عداه يمكن تأجيله.

قوة هذا الخطاب تكمن في أنه لا يعتمد فقط على الحنين إلى الماضي، بل على الخوف من المستقبل. فكلما ارتفعت كلفة التغيير، أصبح الوعد بالاستقرار أكثر جاذبية، حتى لو كان الثمن تراجع الحريات العامة أو تضييق مساحة النقد. وهنا تكمن خطورته؛ إذ لا يعيد إنتاج مؤسسات سابقة فحسب، بل يعيد إنتاج الثقافة السياسية التي جعلت الدولة تبدو أكبر من المجتمع، والاختلاف دليلًا على الانقسام.

في المقابل برزت خلال الأشهر الأخيرة منصات وصحافيون يسعون إلى ترسيخ مفهوم مختلف للإعلام، يقوم على المساءلة والشفافية وحق المجتمع في الوصول إلى المعلومات. هذا التيار لا ينطلق من فكرة أن الإعلام شريك للسلطة، بل من كونه شريكا للمجتمع، ووظيفته الأساسية مراقبة أداء المؤسسات العامة، وكشف الفساد، وفتح المجال أمام النقاش الحر.

غير أن هذا النموذج يواجه تحديات لا تقل تعقيدا عن طموحاته. فالإعلام المستقل يحتاج إلى بيئة قانونية تحميه، وإلى تمويل مستدام يضمن استقلاله، وإلى مؤسسات مهنية قادرة على مقاومة الضغوط السياسية والاقتصادية. وفي مجتمع خرج لتوه من حرب طويلة، حيث تتراجع الموارد ويزداد الاستقطاب، يصبح الحفاظ على استقلال الخط التحريري مهمة شاقة.

لكن المشكلة الأعمق لا تتعلق بالموارد وحدها، بل بطبيعة المرحلة الانتقالية نفسها. فالمجتمعات الخارجة من النزاعات غالبا ما تنقسم بين من يمنح الأولوية للاستقرار ومن يمنحها للحرية. والإعلام يجد نفسه وسط هذا الانقسام، معرّضا لأن يُتهم، إما بخدمة السلطة أو بتقويضها، وإما بالدفاع عن الاستقرار أو بتأجيج الخلافات.

وهنا تتجاوز القضية حدود المهنة لتصبح سؤالا سياسيا واجتماعيا. فما معنى الوطنية في سوريا الجديدة؟ هل تُقاس بمدى الاصطفاف خلف السلطة، أم بقدرة المجتمع على مراقبة السلطة ومحاسبتها؟ وهل يمكن بناء دولة قوية من دون إعلام قادر على طرح الأسئلة الصعبة؟

هذه ليست أسئلة نظرية، بل هي جوهر التحولات التي تمر بها الدول بعد النزاعات. فالدولة التي لا تسمح بوجود إعلام مستقل تخسر إحدى أهم أدوات تصحيح أخطائها. وفي المقابل، فإن الإعلام الذي يتحول إلى طرف سياسي مباشر يفقد تدريجيا قدرته على أداء وظيفته الأساسية بوصفه وسيطا بين المجتمع ومؤسسات الحكم.

> استعادة الثقة لا تتحقق بالشعارات، وإنما بالممارسة اليومية: بالدقة، والاستقلالية، وتصحيح الأخطاء

ولا يمكن فهم هذا المشهد بمعزل عن البيئة الإقليمية. فسوريا تقع في قلب منطقة تتنافس فيها قوى متعددة على النفوذ السياسي والأمني والاقتصادي، والإعلام أصبح إحدى أدوات هذا التنافس. تدعم أطراف إقليمية منصات إعلامية مختلفة، كل منها يعكس أولويات داعميه بقدر ما يعكس الواقع السوري. ونتيجة لذلك لم يعد الصراع يدور فقط حول نقل الأخبار، بل حول إنتاج السرديات التي تمنح هذا الطرف أو ذاك شرعية أكبر في نظر الرأي العام.

هذا التداخل بين المحلي والإقليمي يجعل بناء إعلام وطني مستقل أكثر صعوبة، لكنه يجعله أيضا أكثر إلحاحا. فكلما ازداد اعتماد المؤسسات الإعلامية على التمويل أو الاصطفافات الخارجية، تراجعت قدرتها على تمثيل المصالح الوطنية الجامعة، واتسعت الفجوة بينها وبين الجمهور.

ولعل التحدي الأكبر يكمن في استعادة ثقة السوريين بالإعلام نفسه. فسنوات الحرب أفرزت كمًا هائلا من المعلومات المتناقضة، والدعاية، والاستقطاب، حتى بات الكثير من المواطنين ينظرون إلى وسائل الإعلام باعتبارها امتدادا للصراع السياسي، لا أداة لفهمه. وإذا استمر هذا الانطباع، فإن الخاسر لن يكون مؤسسة إعلامية بعينها، بل المجال العام الذي تحتاج إليه أي دولة تريد بناء عقد اجتماعي جديد.

استعادة هذه الثقة لا تتحقق بالشعارات، وإنما بالممارسة اليومية: بالدقة، والاستقلالية، والتوازن، والقدرة على تصحيح الأخطاء، والفصل الواضح بين الخبر والرأي. فالمصداقية لا تُمنح بقرار سياسي، بل تُبنى بالتراكم، وقد تضيع بسبب خطأ واحد إذا شعر الجمهور بأن الحقيقة أصبحت خاضعة للاعتبارات السياسية.

ليبيا 1 دينار - السعودية 2 ريال - مصر 3 جنيه مصري - موريتانيا 120 أوقية - تونس 900 مليم - المغرب 3 دراهم - الجزائر 7 دينارات - البحرين 200 فلس - اليمن 50 ريالا - الكويت 150 فلسا - الإمارات 2 درهم - عمان 200 بيزا - قطر 2 ريال - العراق 2000 دينار - الأردن 500 فلس - سوريا 150 ليرة - السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA 1 $ - UK 1 £

العرب
السبت 2026/07/11
السنة 49 العدد 13858

انتخابات فلسطين بعد 20 عامًا.. تجديد للشرعية مشوب بمحاذير

القدس وغزة والانقسام الداخلي تضع الاستحقاق الانتخابي أمام التحديات

الحرب المستمرة في غزة، والانقسام بين الضفة الغربية والقطاع، والقيود الإسرائيلية على القدس، كلها عوامل تجعل الانتخابات اختبارًا لقدرة الفلسطينيين على إعادة إنتاج شرعية سياسية جديدة، أكثر من كونها منافسة انتخابية تقليدية. ولذلك فإن نجاح هذا الاستحقاق لن يقاس بمجرد فتح صناديق الاقتراع، بل بقدرته على إعادة بناء المؤسسات الفلسطينية وتوفير قيادة تتمتع بشرعية.

الطريق مليء بالتحديات

رام الله - أعاد الرئيس الفلسطيني محمود عباس ملف الانتخابات إلى صدارة المشهد السياسي بإصداره مرسوما حدد الثامن والعشرين من نوفمبر 2026 موعدا لإجراء الانتخابات التشريعية، في أول خطوة عملية لإحياء المؤسسات المنتخبة منذ انتخابات عام 2006، في محاولة تبدو أقرب إلى إعادة تشغيل النظام السياسي الفلسطيني بعد سنوات طويلة من الجمود والانقسام.

ويحمل القرار دلالات تتجاوز البعد الدستوري، إذ يأتي في لحظة تتعرض فيها السلطة الفلسطينية لضغوط داخلية وخارجية متزايدة من أجل إصلاح مؤسساتها وتعزيز شرعيتها، بينما تواجه القضية الفلسطينية تحولات غير مسبوقة فرضتها الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة منذ أكتوبر 2023، وما ترتب عليها من تغيرات سياسية وإنسانية وأمنية.

كما يأتي المرسوم بعد شهر من إدخال تعديلات على قانون الانتخابات العامة، تضمنت رفع عدد أعضاء المجلس التشريعي من 132 إلى 200 عضو، وخفض سن الترشح إلى 23 عاما، وتقليص نسبة الحسم إلى واحد في المئة، إلى جانب تعزيز تمثيل المرأة داخل القوائم الانتخابية.

ورغم أن هذه التعديلات تعكس توجها نحو توسيع قاعدة المشاركة السياسية، فإنها لا تبدد المخاوف المرتبطة بالبيئة التي ستجرى فيها الانتخابات، في ظل استمرار الانقسام الفلسطيني، وعدم وضوح مستقبل قطاع غزة، واستمرار الموقف الإسرائيلي الرافض لإجراء الانتخابات في القدس الشرقية.

ولا تبدو الانتخابات المقبلة مجرد محاولة لاختيار مجلس تشريعي جديد، بل تمثل اختبارا لإمكانية إعادة بناء النظام السياسي الفلسطيني الذي فقد جزءا كبيرا من حيويته منذ الانقسام عام 2007، وتعطل عمل المجلس التشريعي، ثم حله بقرار رئاسي عام 2018، فضلا عن إلغاء الانتخابات التي كانت مقررة عام 2021 بسبب الخلاف حول مشاركة القدس.

ويرى أستاذ العلوم السياسية في جامعة النجاح الوطنية رائد نعيرات أن توقيت إصدار المرسوم يرتبط مباشرة بالتحولات السياسية المحيطة بالسلطة الفلسطينية، أكثر من ارتباطه بتغيرات داخلية فقط.

ويقول إن السلطة الفلسطينية تسعى إلى إظهار استعدادها للاستجابة لمطالب الإصلاح التي أصبحت شرطا متكررا في الخطابين الأميركي والأوروبي المتعلقين بمستقبلها، خاصة مع تصاعد النقاشات بشأن إعادة تفعيل مؤسساتها ودورها في مرحلة ما بعد الحرب على غزة.

ويضيف أن الانتخابات تمثل أكثر أدوات الإصلاح وضوحا، لأنها تمنح المؤسسات الفلسطينية شرعية متجددة، وهو ما قد يعزز موقف السلطة في الملفات المرتبطة بالدعم المالي، وأموال المقاصة، ومستقبل العلاقة مع المجتمع الدولي.

> التحدي هو تحويل نتائج الانتخابات إلى مدخل لإعادة توحيد النظام السياسي، لا إلى محطة جديدة لتكريس الانقسام

لكن نعيرات يلفت في المقابل إلى أن البيئة السياسية الفلسطينية ما زالت بعيدة عن التوافق الوطني المطلوب لإنجاح هذا الاستحقاق.

ويشير إلى أن قطاعات واسعة من الفلسطينيين تنظر إلى الأولويات بصورة مختلفة في ظل استمرار الحرب، وما خلفته من دمار واسع وأزمات إنسانية، الأمر الذي قد يجعل الانتخابات قضية سياسية مهمة، لكنها ليست بالضرورة القضية الأكثر إلحاحا بالنسبة إلى الشارع الفلسطيني.

ويؤكد أن التحدي الحقيقي لا يكمن في تنظيم الانتخابات، وإنما في كيفية إدارة نتائجها إذا أفرزت موازين قوى جديدة، أو أعادت إنتاج الانقسام القائم بصورة مختلفة.

ويذهب مراقبون إلى أن التجربة الفلسطينية خلال العقدين الماضيين أثبتت أن الانتخابات وحدها لا تكفي لبناء نظام سياسي مستقر، إذا لم تكن جزءا من تفاهم وطني شامل يحسم قواعد الشراكة السياسية وآليات تقاسم السلطة واحترام نتائج الاقتراع.

ومن زاوية أخرى، يرى الخبير السياسي جهاد حرب أن العقبات الميدانية قد تكون أكثر تعقيدا من التحديات السياسية.

ويقول إن القدس الشرقية تمثل الاختبار الأول، في ظل حكومة إسرائيلية يمينية لا تبدو مستعدة لتقديم أي تسهيلات تسمح بإجراء الانتخابات داخل المدينة، وهو ما قد يعيد إنتاج الأزمة التي أدت إلى تأجيل انتخابات عام 2021.

أما التحدي الثاني فيتعلق بقطاع غزة، الذي ما زال يواجه أوضاعا استثنائية نتيجة الحرب، سواء على مستوى البنية التحتية أو النزوح الواسع أو طبيعة الإدارة المدنية والأمنية، بما يجعل تنظيم عملية انتخابية شاملة يتطلب ترتيبات سياسية وفنية معقدة خلال فترة زمنية محدودة.

ويشير حرب إلى أن تحديث السجل الانتخابي، وإعادة تحديد مراكز الاقتراع، وضمان وصول الناخبين، وتأمين العملية الانتخابية، كلها ملفات تحتاج إلى توافقات سياسية وإدارية لا تقل أهمية عن قرار إجراء الانتخابات نفسه.

ورغم هذه العقبات يؤكد أن أي شرعية جديدة ستظل أفضل من استمرار الوضع القائم، لأن إعادة انتخاب المؤسسات الفلسطينية تمنح النظام السياسي فرصة لاستعادة جزء من ثقته الداخلية والخارجية.

ويعتبر أن مشاركة مختلف الفصائل الفلسطينية تمثل شرطا أساسيا لإنجاح العملية، لأن أي مقاطعة واسعة ستضعف شرعية النتائج، وتعيد إنتاج حالة الانقسام بدلا من معالجتها.

ويذهب إلى أن وجود مجلس تشريعي منتخب يمثل الضفة الغربية وقطاع غزة قد يشكل خطوة أولى نحو استعادة وحدة النظام السياسي الفلسطيني، ومنع تكريس الانفصال بين الجانبين.

بدوره، يرى الخبير عادل شديد أن القضية الأساسية لا تتعلق بإجراء الانتخابات بحد ذاتها، وإنما بالإطار السياسي الذي ستجري في ظله.

ويقول إن نجاح الانتخابات يتوقف على مدى انفتاحها أمام جميع القوى الفلسطينية، سواء في الترشح أو المنافسة، محذرا من أن فرض شروط سياسية مسبقة على بعض الأطراف قد يحول الانتخابات إلى عملية إجرائية تفتقر إلى الإجماع الوطني.

كما يشدد على أن الانتخابات ستفقد جزءا كبيرا من قيمتها السياسية والوطنية إذا لم تشمل القدس الشرقية وقطاع غزة، لأن أي استحقاق انتخابي لا يغطي كامل الجغرافيا الفلسطينية سيبقى عرضة للتشكيك في تمثيله الوطني.

ويرى أن الإصرار على إجراء الانتخابات في القدس لا يحمل بعدا إجرائيا فقط، بل يمثل أيضا رسالة سياسية تؤكد تمسك الفلسطينيين بحقهم في المدينة، وتضع إسرائيل أمام اختبار جديد حيال المجتمع الدولي.

وتكشف مجمل هذه المعطيات أن الانتخابات المقبلة تقف عند تقاطع ثلاثة تحديات كبرى؛ أولها إعادة إنتاج الشرعية الفلسطينية بعد سنوات طويلة من الجمود، وثانيها معالجة آثار الانقسام الذي عطل المؤسسات منذ عام 2007، وثالثها مواجهة القيود التي يفرضها الاحتلال الإسرائيلي على العملية الديمقراطية الفلسطينية.

المبادرة الأميركية لوقف الحرب في السودان تصطدم بلاءات البرهان

الخرطوم - اشترط الجيش السوداني انسحاب قوات الدعم السريع من جميع المدن التي سيطرت عليها منذ مايو 2023، لقبول المبادرة الأميركية الرامية إلى إنهاء الحرب المستمرة منذ أكثر من ثلاث سنوات، في موقف يضع أحدث جهود واشنطن لإحياء مسار السلام أمام عقبة قد تعرقل فرص التوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار.

وأظهرت وثائق اطلعت عليها وكالة رويترز، وأكد مسؤولون كبار مضمونها، أن المقترح الأميركي، الذي تسلمته الحكومة السودانية بقيادة الجيش في 20 يونيو الماضي، ينص على هدنة إنسانية فورية لمدة 90 يوما، تمهد لمفاوضات حول وقف دائم لإطلاق النار، وإطلاق عملية انتقال سياسي بقيادة مدنية تنتهي بإجراء انتخابات.

لكن الخرطوم، رغم موافقتها على معظم بنود المبادرة في ردها المرسل إلى الجانب الأميركي في 25 يونيو، اعترضت على البند المتعلق بانسحاب محدود لقوات الدعم السريع، مؤكدة أن أي اتفاق يجب أن ينص على انسحاب كامل للقوات شبه العسكرية من جميع المدن التي سيطرت عليها منذ اندلاع الحرب، وليس من مناطق محددة فقط.

ويعكس هذا الرد تمسك رئيس مجلس السيادة وقائد الجيش السوداني عبدالفتاح البرهان بالموقف الذي دافع عنه طوال الأشهر الماضية، والقائم على رفض أي تسوية تُبقي قوات الدعم السريع داخل المراكز الحضرية أو تمنحها فرصة لإعادة ترتيب أوضاعها العسكرية تحت مظلة هدنة مؤقتة.

وبذلك اصطدمت المبادرة الأميركية بما يمكن وصفه بـ"لاءات البرهان"، التي تجعل الانسحاب الشامل شرطاً مسبقاً لأي تسوية سياسية أو أمنية.

وتكشف الوثائق أن المقترح الأميركي اعتمد مقاربة تدريجية، إذ دعا إلى إنشاء آلية بإشراف الأمم المتحدة لدعم عمليات انسحاب محدودة لقوات الدعم السريع، مع إعطاء الأولوية لولايتي شمال دارفور وشمال كردفان، باعتبارهما من أكثر مناطق القتال اشتعالاً في المرحلة الحالية.

ويبدو أن واشنطن سعت، من خلال هذه الصيغة، إلى تحقيق اختراق أولي في الملف الأمني عبر إجراءات لبناء الثقة بين طرفي الصراع، بدلاً من السعي إلى فرض حلول شاملة يصعب تنفيذها في ظل تعقيدات المشهد الميداني. إلا أن الجيش السوداني يرى أن الانسحاب الجزئي من شأنه تكريس واقع السيطرة الذي فرضته قوات الدعم السريع خلال الحرب، ومنحها شرعية غير مباشرة للاحتفاظ بمواقع استراتيجية داخل البلاد.

وليس هذا الخلاف جديداً، إذ شكّل مطلب الانسحاب الكامل لقوات الدعم السريع أحد أبرز أسباب تعثر محاولات الوساطة السابقة، سواء في منبر جدة أو في المبادرات الإقليمية والأفريقية الأخرى.

وفي كل جولة تفاوض تقريباً، تمسك الجيش بأن يسبق أي اتفاق سياسي أو وقف دائم لإطلاق النار خروج قوات الدعم السريع من المدن وإعادة انتشارها، بينما رفضت الأخيرة هذا الطرح بالصيغة التي يقدمها الجيش.

وتقوم الرؤية الأميركية، في المقابل، على التعامل مع الوقائع الميدانية كما هي، انطلاقاً من أن التوصل إلى هدنة إنسانية قد يكون المدخل الوحيد لوقف التدهور الإنساني، قبل الانتقال إلى معالجة الملفات الأكثر تعقيداً، وفي مقدمتها إعادة هيكلة المؤسسة العسكرية ومستقبل قوات الدعم السريع.

ولم يقتصر المقترح الأميركي على وقف إطلاق النار، بل تضمن تصوراً متكاملاً للمرحلة الانتقالية، يشمل تشكيل جيش وطني موحد، ووضع ترتيبات لنزع السلاح والتسريح وإعادة دمج المقاتلين، إلى جانب إطلاق عملية سياسية يقودها المدنيون، مع استبعاد جماعة الإخوان المسلمين والعناصر المسلحة المتهمة بارتكاب انتهاكات جسيمة خلال الحرب.

> الرؤية الأميركية ترى أن التوصل إلى هدنة إنسانية المدخل الوحيد لوقف التدهور الإنساني، قبل معالجة بقية الملفات

وتعكس هذه البنود رغبة واشنطن في معالجة جذور الأزمة السودانية، وليس الاكتفاء بوقف العمليات العسكرية، انطلاقاً من أن الحرب اندلعت أساساً بسبب الخلاف بين الجيش وقوات الدعم السريع حول آليات دمج القوتين في جيش واحد، ومسار الانتقال إلى الحكم المدني.

كما أن اختيار شمال دارفور وشمال كردفان نقطة بداية لعمليات الانسحاب لم يكن اعتباطياً، إذ شهد الإقليمان خلال الأسابيع الأخيرة تصعيداً واسعاً. ففي شمال دارفور تمكنت قوات الدعم السريع من السيطرة على مدينة الفاشر بعد معارك عنيفة، بينما تعرضت مناطق في شمال كردفان لهجمات متكررة بالطائرات المسيّرة، ما جعل المنطقتين من أكثر الجبهات حساسية بالنسبة إلى الوسطاء الدوليين.

ورغم أن المبادرة لم تُرفض رسمياً من جانب الخرطوم، فإن التعديلات الجوهرية التي طلبتها تكشف حجم الهوة بين رؤية واشنطن ورؤية القيادة العسكرية السودانية. فالولايات المتحدة تراهن على خطوات متدرجة لبناء الثقة، بينما يتمسك الجيش بتحقيق مكاسب أمنية واضحة قبل الدخول في أي عملية سياسية.

وسطاء إقليميون يسابقون الزمن لكبح التصعيد بين واشنطن وطهران

القيادة الإيرانية أمام اختبار حقيقي لإثبات قدرتها على ضبط خيوط اللعبة في الداخل

طهران - تتسارع الجهود الدبلوماسية في منطقة الشرق الأوسط في سباق مع الزمن لكبح جماح التصعيد العسكري المتنامي بين الولايات المتحدة وإيران، حيث يقود وسطاء إقليميون تحركات مكثفة لمنع انزلاق المنطقة إلى حرب لا تُحمد عقباها.

الجناح المتشدد سيد القرار في إيران

وتأتي التطورات المتلاحقة في وقت حساس للغاية يعقب سلسلة من الضربات الجوية العنيفة والمتبادلة، مما يضع التفاهمات الهشة التي جرى التوصل إليها مؤخراً بين واشنطن وطهران على حافة الانهيار الكامل.

وبحسب تقارير دبلوماسية متطابقة، تبذل عواصم إقليمية محورية، في مقدمتها الدوحة وإسلام آباد والقاهرة والرياض، مساعي حثيثة لفتح قنوات اتصال مباشرة وغير مباشرة بين المسؤولين الأميركيين والإيرانيين، بهدف نزع فتيل الأزمة الحالية وإعادة الطرفين إلى طاولة المفاوضات الفنية قبل فوات الأوان.

وشهدت الساعات الأخيرة تصعيدا ميدانيا غير مسبوق عكس عمق الفجوة والتوتر بين الطرفين، إذ نفذت القيادة المركزية الأميركية سلسلة من الضربات الجوية الواسعة والمكثفة استهدفت نحو تسعين موقعاً عسكرياً على الساحل الإيراني، شملت منظومات دفاع جوي متطورة ومستودعات لتخزين الصواريخ الباليستية والطائرات المسيرة، بالإضافة إلى منشآت لوجستية وقدرات بحرية تابعة للحرس الثوري.

ولم يتأخر الرد الإيراني كثيرا، حيث أعلن الحرس الثوري عن استهداف قواعد عسكرية تضم قوات أميركية في الكويت والبحرين والأردن، موجها تحذيرات شديدة اللهجة بتوسيع دائرة الاستهداف لتشمل مصالح أميركية وحلفاء آخرين في المنطقة إذا ما استمرت الهجمات الجوية الأميركية على أراضيه، وهو ما ينذر بتحول الخليج العربي ومحيطه إلى ساحة مواجهة مفتوحة وصراع إقليمي واسع النطاق.

ونقلت وكالة رويترز، الجمعة، عن مصدر قوله إن هناك مفاوضين قطريين في إيران. وتكشف مصادر مطلعة على مسار الوساطة الحالية عن تعقيدات داخلية وخارجية تزيد من صعوبة الموقف، حيث يرى الوسطاء أن الهجمات الأخيرة التي وقعت في مضيق هرمز ومحيطه نفذتها عناصر متشددة داخل النظام الإيراني بغاية تقويض مذكرة التفاهم التي تم توقيعها بين واشنطن وطهران في الثامن عشر من يونيو الماضي.

> تبذل الدوحة وإسلام آباد والقاهرة والرياض،مساعي حثيثة لفتح قنوات اتصال بين المسؤولين الأميركيين والإيرانيين

وتهدف هذه التحركات الميدانية المضادة، وفقاً للقراءة الدبلوماسية، إلى إفشال أي تقارب محتمل مع الولايات المتحدة وإجهاض الجهود الرامية إلى بناء الثقة بين الجانبين، مما يضع القيادة السياسية في طهران أمام اختبار حقيقي لإثبات قدرتها على ضبط خيوط اللعبة الداخلية والسيطرة على الأجنحة العسكرية التي تعارض علناً مسار الدبلوماسية وتسعى لفرض واقع ميداني مغاير.

وتتحرك الدبلوماسية العربية والإقليمية بناءً على إدراك عميق للمخاطر الكارثية التي قد تنجم عن أي مواجهة مباشرة، حيث أجرى مسؤولون رفيعو المستوى من قطر وباكستان ومصر والسعودية اتصالات هاتفية مكثفة ومشتركة مع قيادات سياسية وأمنية في كل من واشنطن وطهران.

وتركز هذه الاتصالات المستمرة على تحقيق هدفين رئيسيين يتلخص الأول منهما في الاتفاق الفوري على هدنة غير معلنة وبدء خطوات عملية لخفض التصعيد الميداني، بينما يتمثل الهدف الثاني في تحديد موعد عاجل ومناسب لعقد جولة جديدة من المفاوضات بين الفرق الفنية للبلدين، للبناء على ما تم إنجازه في مذكرة التفاهم الأخيرة وتفادي الانهيار الشامل للمسار السياسي.

العرب
السبت 2026/07/11
السنة 49 العدد 13858

كيف يمكن لدول الخليج تحويل أزمة هرمز إلى فرصة استراتيجية؟

السعودية والإمارات تقودان سباق الممرات اللوجستية لتعزيز أمن التجارة والطاقة

التوترات المتكررة دفعت دول الخليج إلى الانتقال من سياسة إدارة الأزمات إلى استراتيجية تقوم على تنويع مسارات التجارة والطاقة، والاستثمار في بنية تحتية تجعل المنطقة أقل اعتمادًا على الممرات البحرية الحساسة وأكثر قدرة على التحول إلى مركز عالمي للنقل والخدمات اللوجستية.

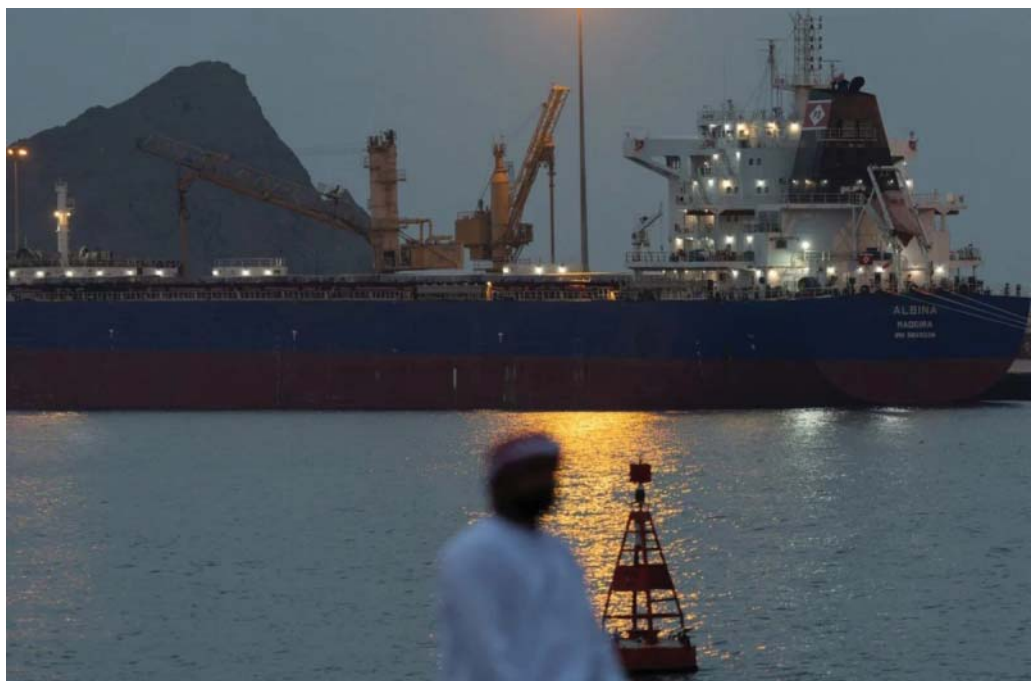

أبوظبي/الرياض - كشفت أزمة مضيق هرمز أن أمن الطاقة لم يعد يقتصر على حماية ناقلات النفط أو ضمان حرية الملاحة، بل أصبح مرتبطًا بقدرة الدول على توفير بدائل فعالة تسمح باستمرار تدفق التجارة حتى في أوقات الأزمات. وبينما تعاملت دول الخليج لعقود مع المضيق باعتباره الشريان الطبيعي لصادراتها، بدأت اليوم تنظر إليه بوصفه أحد المسارات الممكنة ضمن شبكة أوسع من الممرات البرية والبحرية، بما يقلل من الاعتماد على نقطة اختناق واحدة يمكن أن تتحول في أي لحظة إلى مصدر اضطراب اقتصادي عالمي.

هذا التحول لم يأت نتيجة أزمة عابرة، وإنما يعكس تراكمًا في الخبرة الاستراتيجية الخليجية بعد سنوات من الهجمات على ناقلات النفط والمنشآت الحيوية، مرورًا بالحرب في اليمن، ثم التوترات المتكررة بين إيران والولايات المتحدة وإسرائيل. فقد أظهرت تلك الأحداث أن المخاطر لم تعد تقتصر على احتمال إغلاق المضيق بالكامل، وهو سيناريو يبقى مستبعدًا بسبب كلفته على جميع الأطراف، وإنما تشمل أيضًا تعطيل الملاحة بصورة جزئية، وارتفاع أقساط التأمين، وإرباك جداول الشحن، وهي عوامل كافية لإحداث اضطرابات واسعة في الأسواق العالمية.

ومن هنا، بدأت العواصم الخليجية تتعامل مع أمن التجارة باعتباره جزءًا من الأمن القومي، لا يقل أهمية عن أمن الحدود أو القدرات العسكرية. فكل يوم تتعطل فيه حركة الملاحة في هرمز ينعكس مباشرة على تكاليف النقل وسلاسل الإمداد، ويؤثر في قدرة اقتصادات المنطقة على جذب الاستثمارات العالمية، خصوصًا في ظل المنافسة المتزايدة بين المراكز اللوجستية الدولية.

وفي مقدمة هذا التحول تبرز السعودية، التي تسعى إلى توظيف مشاريعها العملاقة في إطار رؤية 2030 لبناء منظومة لوجستية متكاملة تمتد من الخليج إلى البحر الأحمر. ولم يعد تطوير ميناء نيوم أو توسيع شبكة السكك الحديدية مجرد مشاريع تنموية منفصلة، بل أصبح جزءًا من رؤية أشمل تهدف إلى تحويل المملكة إلى حلقة وصل رئيسية بين آسيا وأوروبا وأفريقيا.

وتكتسب هذه المشاريع أهمية إضافية لأنها تقلل تدريجيًا من الاعتماد على مضيق هرمز، وتمنح الصادرات السعودية خيارات متعددة للوصول إلى الأسواق العالمية عبر البحر الأحمر، الذي يمثل بوابة مباشرة إلى قناة السويس والأسواق الأوروبية. كما تسمح بربط المناطق الصناعية الجديدة بشبكات النقل الحديثة، بما ينسجم مع هدف تنويع الاقتصاد وتقليص الاعتماد على العائدات النفطية.

وفي المقابل، تمضي الإمارات في استراتيجية موازية تقوم على تعزيز منافذها الواقعة خارج مضيق هرمز، مستفيدة من خط أنابيب حبشان – الفجيرة الذي ينقل جزءًا مهمًا من صادرات النفط مباشرة إلى بحر العرب، دون المرور بالمضيق. ويمنح ذلك أبوظبي هامشًا أكبر في مواجهة أي اضطرابات مستقبلية، كما يعزز مكانة ميناء الفجيرة باعتباره أحد أهم مراكز تخزين وتصدير النفط في العالم.

> **تمتلك دول الخليج عناصر قوة مهمة؛ قدرات مالية كبيرة، وبنية تحتية متقدمة، وخبرة في إدارة الموانئ والمناطق الحرة**

ولا يقتصر الرهان الإماراتي على الطاقة وحدها، بل يمتد إلى ترسيخ موقع الدولة كمركز عالمي لإعادة التصدير والخدمات اللوجستية، عبر تطوير الموانئ وربطها بمشاريع السكك الحديدية داخل الدولة ومع سلطنة عُمان. ويتيح هذا الربط الاستفادة من الموانئ العُمانية المطلة على بحر العرب، لتشكيل منظومة نقل أكثر مرونة وأقل تأثرًا بالتوترات التي قد تشهدها الممرات البحرية التقليدية.

لكن التحول الخليجي لا يهدف إلى استبدال مضيق هرمز بمسار آخر، بقدر ما يسعى إلى إنهاء فكرة الاعتماد على منفذ وحيد. فالدرس الذي فرضته الأزمات الأخيرة يتمثل في أن أمن التجارة يتحقق عبر تعدد الخيارات، بحيث تستطيع البضائع والطاقة الانتقال عبر أكثر من طريق، سواء من خلال البحر الأحمر، أو الموانئ العُمانية، أو شبكات السكك الحديدية، أو خطوط الأنابيب.

ولهذا، يتزايد الاهتمام بإنشاء شبكة مترابطة من الممرات، بدل التركيز على مشروع واحد. فالممر الاقتصادي بين الهند والشرق الأوسط وأوروبا، على سبيل المثال، لا يُنظر إليه باعتباره مجرد طريق جديد لنقل البضائع، وإنما كمنصة يمكن أن توحد الاستثمارات الخليجية المختلفة ضمن رؤية إقليمية متكاملة، تربط الموانئ بالسكك الحديدية والمناطق الصناعية ومراكز الخدمات اللوجستية.

وفي الوقت نفسه، يتقاطع هذا المشروع مع مبادرات أخرى في المنطقة، مثل مشروع "طريق التنمية" العراقي، والممر الأوسط الذي يربط آسيا بأوروبا عبر القوقاز وتركيا، ما يفتح الباب أمام منافسة واسعة بين عدة شبكات تجارية تسعى إلى استقطاب حركة البضائع العالمية. غير أن هذه المنافسة لا تعني بالضرورة تعارض المصالح، إذ يمكن لدول الخليج أن تستفيد من تكامل هذه الممرات، بما يعزز مكانتها كمحور رئيسي في التجارة الدولية بدل أن تكون مجرد نقطة عبور للطاقة.

غير أن نجاح هذه الرؤية لا يتوقف على إنشاء موانئ حديثة أو مد آلاف الكيلومترات من السكك الحديدية وخطوط الأنابيب، بل يرتبط بقدرة دول الخليج على بناء منظومة اقتصادية متكاملة تجعل الانتقال بين هذه الممرات سريعًا ومنخفض التكلفة. فالتجارب العالمية تشير إلى أن البنية التحتية، مهما بلغت جودتها، لا تحقق أهدافها إذا بقيت الإجراءات الجمركية معقدة أو اختلفت التشريعات والأنظمة من دولة إلى أخرى.

ولهذا، أصبح التكامل الجمركي والرقمي أحد أهم عناصر المنافسة بين الممرات التجارية الدولية. فالشركات العالمية لا تبحث فقط عن أقصر طريق، بل عن أكثره استقرارًا وسرعة وشفافية. ومن هنا تبرز أهمية توحيد إجراءات العبور، واعتماد منصات إلكترونية مشتركة للتخليص الجمركي، وتطوير أنظمة الدفع والخدمات اللوجستية، بما يختصر الزمن ويخفض الكلفة ويزيد من جاذبية المنطقة أمام المستثمرين.

وفي هذا السياق، يكتسب مشروع الممر الاقتصادي بين الهند والشرق الأوسط وأوروبا (IMEC) أهمية تتجاوز كونه مشروعًا للنقل. فجوهر المبادرة يتمثل في بناء شبكة متكاملة تشمل الموانئ والسكك الحديدية والطاقة والاتصالات والكابلات البحرية، بما يجعلها منصة اقتصادية شاملة وليست مجرد خط لعبور الحاويات. ورغم أن المشروع فقد جزءًا من زخمه بسبب الحرب في غزة وما رافقها من توترات إقليمية، فإن أزمة هرمز أعادت تسليط الضوء على الحاجة إلى مثل هذه المبادرات التي تقلل الاعتماد على الممرات البحرية التقليدية.

كما تدفع الأزمة إلى إعادة تقييم مشاريع ظلت لسنوات رهينة التجاذبات السياسية، مثل خط أنابيب النفط العراقي إلى ميناء العقبة الأردني، أو مشاريع الربط السككي بين الخليج والأردن، مع بقاء احتمالات امتدادها مستقبلًا إلى سوريا وتركيا إذا توافرت بيئة سياسية وأمنية أكثر استقرارًا. فهذه المشاريع لم تعد تُقاس فقط بجدواها الاقتصادية، بل بقيمتها الاستراتيجية في تنويع منافذ التصدير وتقليص المخاطر الجيوسياسية.

ويمنح هذا التحول دولًا مثل الأردن فرصة لتعزيز دورها بوصفها مركز عبور إقليمي، فيما قد تستفيد سوريا مستقبلًا، إذا استقرت أوضاعها، من موقعها الجغرافي لاستعادة جزء من دورها التاريخي كحلقة وصل بين الخليج وشرق البحر المتوسط. كما يمكن للعراق أن يتحول إلى شريك رئيسي في شبكة النقل الإقليمية إذا نجح في تطوير بنيته التحتية وتأمين مسارات التجارة عبر أراضيه.

ولا يقتصر التحول الخليجي على الممرات التقليدية، إذ بدأت المنطقة تنظر إلى البنية الرقمية باعتبارها جزءًا من أمنها الاقتصادي. فكما تتنافس الدول على استقطاب خطوط الملاحة البحرية، تتنافس أيضًا على استضافة الكابلات البحرية العابرة للقارات، ومراكز البيانات، ومنصات الحوسبة السحابية، ومشاريع الذكاء الاصطناعي. ومع التوسع الكبير في الاقتصاد الرقمي، قد تصبح حركة البيانات في المستقبل مساوية في أهميتها لحركة النفط والبضائع.

وتملك دول الخليج مقومات قوية لدخول هذه المنافسة، بفضل موقعها الجغرافي الذي يربط آسيا وأوروبا وأفريقيا، واستثماراتها المتزايدة في الطاقة المتجددة والبنية الرقمية. ويمكن أن يؤدي الجمع بين الممرات اللوجستية التقليدية والممرات الرقمية إلى منح المنطقة ميزة تنافسية يصعب على كثير من المراكز العالمية مجاراتها.

كما تمتلك عناصر قوة مهمة. فهي تتمتع بقدرات مالية كبيرة، وبنية تحتية متقدمة، وخبرة متراكمة في إدارة الموانئ والمناطق الحرة، فضلًا عن بيئة أعمال أكثر استقرارًا مقارنة بكثير من دول المنطقة. وإذا نجحت في توظيف هذه المقومات ضمن رؤية إقليمية مشتركة، فإنها لن تكتفي بتأمين صادراتها النفطية، بل ستتحول إلى مركز عالمي لإدارة سلاسل الإمداد والخدمات اللوجستية.

> **ما قبل الحرب الإيرانية ليس كما بعدها**

الطائرات المسيّرة تعيد كتابة قواعد الحرب في الشرق الأوسط

السلاح الأرخص يمنح الأطراف الأضعف قدرة على الصمود ويعقّد الحسم العسكري

واشنطن - لم تعد الطائرات المسيّرة مجرد وسيلة دعم في ساحات القتال، بل تحولت إلى أحد أبرز العوامل التي تعيد تشكيل طبيعة الحروب في جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا. فقد أتاحت كلفتها المنخفضة وسهولة تشغيلها وانتشار تقنياتها للدول والجماعات المسلحة امتلاك قدرة هجومية كانت حكرًا على الجيوش النظامية، الأمر الذي منح الأطراف الأضعف فرصة لتعويض جانب من اختلال ميزان القوى وإطالة أمد الصراعات.

وأظهرت النزاعات الأخيرة، من ليبيا واليمن إلى السودان ولبنان، أن المسيّرات لم تعد تُستخدم فقط لتنفيذ ضربات دقيقة، بل أصبحت وسيلة لاستنزاف الخصوم ورفع كلفة العمليات العسكرية وتعطيل فرص الحسم السريع. كما برز دورها خلال الحرب الأميركية – الإيرانية مطلع عام 2026، عندما استخدمتها طهران لاستهداف قواعد عسكرية وتهديد الملاحة في مضيق هرمز، بما انعكس مباشرة على أسواق الطاقة العالمية.

وبالرغم من أن هذه التكنولوجيا أصبحت جزءًا أساسيًا من العقيدة العسكرية للدول، فإن انتشارها بين أطراف الحروب الأهلية يثير مخاوف متزايدة، في ظل ارتفاع أعداد الضحايا المدنيين واتساع شبكات تهريب المسيّرات ومكوناتها.

وبرزت المسيّرات بصورة لافتة خلال الحرب الليبية عام 2019، عندما استخدمت حكومة الوفاق الوطني طائرات "بيرقدار" التركية لوقف هجوم قوات المشير خليفة حفتر على طرابلس. ولم يقتصر دورها على الدفاع عن العاصمة، بل ساعدت أيضًا في استعادة مدينة غريان، ما كشف مبكرًا قدرة هذا السلاح على قلب موازين المعارك عندما يُستخدم بكفاءة.

وتكرر المشهد في اليمن، حيث اعتمد الحوثيون على المسيّرات منذ سيطرتهم على صنعاء، قبل أن يوسعوا استخدامها لاستهداف منشآت داخل السعودية ثم السفن في البحر الأحمر وخليج عدن، ولاحقًا استخدمت لضرب أهداف داخل إسرائيل. وتشير التقديرات إلى أن الجماعة نفذت مئات الهجمات بالطائرات المسيّرة خلال السنوات الأخيرة، في مؤشر على تحول هذا السلاح إلى العمود الفقري لإستراتيجيتها العسكرية.

وتكمن أهمية المسيّرات في أنها تقلص الفارق بين الطرف الأقوى والأضعف. فبدلًا من خوض مواجهات تقليدية يصعب كسبها، تستطيع الجماعات المسلحة إلحاق خسائر مستمرة بخصومها واستنزاف مواردهم، بما يحول دون تحقيق انتصار حاسم ويدفع الصراعات إلى مراحل أطول وأكثر تعقيدًا. ومن هنا لم تعد المسيّرات مجرد سلاح منخفض الكلفة، بل أداة إستراتيجية تعيد تعريف مفهوم الردع والحسم في حروب المنطقة.

وتبرز الحرب في السودان بوصفها المثال الأكثر دموية على تأثير الطائرات المسيّرة في إطالة أمد النزاعات. فقد تحولت هذه الطائرات إلى أداة رئيسية لدى طرفي الصراع، وأسهم استخدامها المكثف في تصاعد الخسائر بين المدنيين واستهداف المدن والبنية التحتية. وأعلن مفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان، فولكر تورك، أن هجمات المسيّرات أودت بحياة أكثر من ألف مدني خلال الأشهر الأولى من عام 2026، في وقت تواصل فيه القوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع توظيف هذا السلاح في معارك يصعب حسمها عسكريًا.

> **لم تعد المسيّرات الأداة الأكثر تطورًا أو الأعلى كلفة هي العامل الحاسم، بل القدرة على استنزاف الخصم وإطالة المواجهة**

ولم يقتصر أثر المسيّرات على السودان، بل ظهر أيضًا في المواجهة بين إسرائيل وحزب الله، حيث استخدم الحزب طائرات مسيّرة مزودة بأنظمة توجيه متطورة، من بينها مسيّرات تعمل بالألياف الضوئية، يصعب التشويش عليها أو اعتراضها مقارنة بالطائرات التقليدية. وأظهرت هذه الهجمات أن حتى الجيوش الأكثر تطورًا لم تعد قادرة على ضمان حماية كاملة ضد هذا النوع من التهديدات، الأمر الذي دفع إسرائيل إلى تعزيز برامجها المخصصة لمكافحة المسيّرات.

وتعكس إيران وتركيا نموذجين مختلفين في تطوير هذه التكنولوجيا. فقد ركزت طهران، تحت ضغط العقوبات، على إنتاج مسيّرات منخفضة الكلفة بأعداد كبيرة، ثم نقلت خبراتها إلى حلفائها الإقليميين، ما منحهم قدرة على تنفيذ عمليات تتجاوز إمكاناتهم العسكرية التقليدية. وخلال الحرب الأميركية – الإيرانية عام 2026، برزت المسيّرات الإيرانية باعتبارها إحدى أهم أدوات الضغط العسكري، سواء عبر استهداف القواعد الأميركية أو تهديد الملاحة في مضيق هرمز.

في المقابل استثمرت تركيا في تطوير مسيّرات أكثر تقدمًا من الناحية التقنية، مثل "بيرقدار TB2"، التي أثبتت فاعليتها في عدد من ساحات القتال، وأصبحت من أبرز صادرات الصناعات الدفاعية التركية إلى دول الشرق الأوسط وأفريقيا.

ومع اتساع استخدام هذا السلاح، تتطور أيضًا وسائل التصدي له. فقد دفعت الحرب في أوكرانيا إلى تسريع تطوير أنظمة منخفضة الكلفة لمكافحة المسيّرات، تعتمد على التشويش الإلكتروني أو وسائل اعتراض أقل كلفة بكثير من الصواريخ الدفاعية التقليدية، ما يعكس سباقًا متواصلًا بين تطوير الطائرات المسيّرة وابتكار وسائل مواجهتها.

وتكشف تجارب ليبيا واليمن والسودان ولبنان أن الطائرات المسيّرة لم تعد مجرد إضافة إلى ترسانة الأسلحة، بل أصبحت عنصرًا يغيّر طبيعة الحروب نفسها. فهي تمنح الأطراف الأضعف قدرة أكبر على الصمود، وترفع كلفة الحسم العسكري، وتزيد من احتمالات تحول النزاعات إلى حروب استنزاف طويلة، يدفع المدنيون ثمنها الأبهظ.

ولهذا تبدو الحاجة ملحة إلى تحرك دولي أكثر فاعلية للحد من تدفق المسيّرات إلى ساحات النزاع، وتشديد الرقابة على شبكات نقلها ومكوناتها، بالتوازي مع تنشيط المسارات السياسية لتسوية الأزمات. فاستمرار سباق التسلح في هذا المجال يعني أن المنطقة ستواجه حروبًا أطول وأكثر تعقيدًا، يصبح فيها تحقيق النصر العسكري أصعب، بينما تتفاقم الكلفة الإنسانية عامًا بعد آخر.

كلفة أرخص وتأثير أكبر

العرب
السبت 2026/07/11
السنة 49 العدد 13858

التقلبات العالمية تغير وجهة استثمارات الصناديق السيادية

الحكومات تندفع إلى توظيف السيولة لتعزيز الأمن الاقتصادي وسلاسل التوريد والتنافس على التقنيات

فرضت التوترات التجارية والجيوسياسية على الحكومات توظيف تريليونات الدولارات التي تديرها صناديق الثروة بالتركيز على الأولويات المحلية لدعم القطاعات الإستراتيجية، في تحول يعيد تعريف دور رأس المال السيادي من مستثمر مالي إلى لاعب مؤثر في الأمن الاقتصادي والتكنولوجي العالمي.

نظرة إلى أفق أوسع

لندن - تتجه صناديق الثروة السيادية حول العالم إلى تبني إستراتيجية استثمارية جديدة تتجاوز مفهوم تعظيم العوائد المالية، مع تصاعد التوترات الجيوسياسية واحتدام المنافسة العالمية على التقنيات المتقدمة.

ونتيجة تغيير المسار ستصبح هذه الصناديق إحدى أبرز أدوات الحكومات في تعزيز الأمن الاقتصادي، وترسيخ مكانتها في سلاسل القيمة العالمية، وتمويل الصناعات التي تعد ذات أهمية إستراتيجية.

وهذا التحول رصدته دراسة حديثة صادرة عن جامعة آي.إي الإسبانية، أظهرت أن صناديق الثروة التي تدير أصولاً تتجاوز 15 تريليون دولار باتت تمنح أولوية متزايدة للاستثمار في الذكاء الاصطناعي والرقائق والبنية التحتية الحيوية.

كما تحولت إلى التركيز على الصناعات المحلية ذات الأهمية الإستراتيجية، في وقت يتراجع فيه التركيز الحصري على تحقيق أعلى العوائد الاستثمارية.

ويعكس هذا الاتجاه تغيراً في طبيعة الدور الذي تؤديه هذه الصناديق، إذ لم تعد مجرد مستثمرين مؤسسيين يبحثون عن فرص مالية، بل تحولت إلى أدوات لتنفيذ السياسات الاقتصادية للدول، ودعم أهدافها الصناعية والتكنولوجية، وتعزيز قدرتها على المنافسة في الاقتصاد العالمي.

خافيير كابابي

العالم يشهد مرحلة جديدة من إعادة تشكيل الاقتصاد

ويقول خافيير كاباب، مدير أبحاث الثروة السيادية في جامعة آي.إي ومعد التقرير، إن "العالم يشهد مرحلة جديدة من إعادة تشكيل الاقتصاد الدولي".

وأضاف أن "الحكومات تستخدم صناديقها السيادية بصورة متزايدة لتنفيذ إستراتيجياتها الوطنية وتعزيز موقعها في سلاسل القيمة العالمية"، في ظل ما وصفه بتأثير "العالم المجزأ" على قرارات الاستثمار.

وتشير الدراسة إلى أن قيمة الاستثمارات المباشرة التي نفذتها الصناديق السيادية خلال فترة الرصد الممتدة على مدار 18 شهراً حتى نهاية ديسمبر 2025 قفزت بنسبة 91 في المئة مقارنة بالتقرير السابق، لتصل إلى 404 مليارات دولار.

> **15**
> تريليون دولار الأصول التي يديرها أكثر من 100 صندوق ثروة، وفق البيانات الرسمية

وجاء هذا النمو مع انخفاض عدد الصفقات بنسبة 17 في المئة إلى 391 صفقة فقط، وهو ما يعكس توجهاً واضحاً نحو تنفيذ صفقات أقل عدداً لكنها أكبر حجماً وأكثر تأثيراً.

ويبرز الذكاء الاصطناعي باعتباره المستفيد الأكبر من هذا التحول، إذ استحوذت الاستثمارات المرتبطة به على نحو ثلث إجمالي الإنفاق الذي رصدته الدراسة، مع تدفق رؤوس أموال سيادية ضخمة إلى شركات التكنولوجيا المتقدمة.

وبحسب ما نقلته وكالة رويترز عن تقرير آي.إي، فإن ذلك مدفوع بقناعة الحكومات بأن الذكاء الاصطناعي لم يعد مجرد قطاع اقتصادي واعد، بل أصبح أحد مقومات الأمن القومي والقدرة التنافسية للدول.

وشملت أبرز الصفقات التي وثقها التقرير مساهمة شركة أم.جي.إكس الإماراتية في تمويل شركة أوبن أي.آي، إلى جانب مشاركتها في جولة تمويل شركة إكس.أي.آي التابعة لإيلون ماسك، بالشراكة مع جهاز قطر للاستثمار وجهاز عُمان للاستثمار.

كما شارك صندوق الثروة القطري وصندوق جي.أي.سي السنغافوري في جولة تمويل شركة أنثروبيك الأميركية التي بلغت قيمتها 13 مليار دولار، في واحدة من أكبر عمليات التمويل في قطاع الذكاء الاصطناعي.

واستحوذت الولايات المتحدة على النصيب الأكبر من التدفقات الاستثمارية، إذ جذبت 220.4 مليار دولار خلال فترة الدراسة، مستفيدة من مكانتها كمركز عالمي لشركات الذكاء الاصطناعي والحوسبة السحابية والرقائق، فضلاً عن البيئة الاستثمارية الداعمة للابتكار.

ورغم ذلك يشير التقرير إلى أن هذه الأرقام لا تمثل سوى جزء محدود من النشاط الفعلي للصناديق السيادية، لأن العديد من الاستثمارات تتم بصورة غير معلنة أو من خلال هياكل استثمارية خاصة لا تكشف تفاصيلها للرأي العام.

وتؤكد البيانات أن الدول الغنية بالطاقة، وفي مقدمتها دول الخليج والنرويج، واصلت تصدرها لقائمة أكبر المستثمرين من حيث قيمة الإنفاق، مستفيدة من الفوائض المالية التي حققتها خلال السنوات الأخيرة.

وجاءت شركة تيماسيك السنغافورية في صدارة المؤسسات من حيث عدد الصفقات المنفذة، بعدما أبرمت 71 صفقة خلال الفترة التي شملتها الدراسة.

كما رصد التقرير تأسيس 12 صندوقا سياديا جديدا خلال الفترة نفسها، من بينها صندوق أم.جي.إكس في أبوظبي، إضافة إلى صناديق جديدة في أيرلندا والمملكة المتحدة وإسبانيا وبوتسوانا.

ويرى الخبراء أن هذا يعكس اتجاهاً متنامياً لدى الحكومات لتوظيف رؤوس الأموال العامة في دعم التنمية الاقتصادية وتعزيز النفوذ الاستثماري خارج الحدود.

> **الولايات المتحدة استقطبت أكبر قدر من التمويل، حيث بلغ 220.4 مليار دولار على مدى 18 شهرًا حتى ديسمبر 2025**

ويأتي هذا النمو بينما يشهد قطاع إدارة الأصول توسعاً غير مسبوق على مستوى العالم. ووفق أحدث تقديرات المنتدى الدولي لصناديق الثروة، يوجد حالياً أكثر من 100 صندوق حول العالم، تتمتع بسيولة كبيرة، مقارنة بأقل من تريليون دولار فقط مطلع الألفية الحالية.

وتضم منطقة الخليج عدداً من أكبر الصناديق السيادية في العالم، من بينها جهاز أبوظبي للاستثمار، وشركة القابضة آي.دي.كيو، وصندوق الاستثمارات العامة السعودي، وجهاز قطر للاستثمار، وهيئات الاستثمار في الكويت وسلطنة عُمان.

وقد باتت في غضون سنوات قليلة من أبرز المستثمرين العالميين في قطاعات التكنولوجيا والطاقة المتجددة والبنية التحتية والخدمات اللوجستية.

وتشير تقديرات مؤسسات دولية متخصصة إلى أن الصناديق السيادية ضخت خلال السنوات الخمس الأخيرة مئات المليارات من الدولارات في قطاعات التكنولوجيا المتقدمة.

كما تزايدت استثماراتها في شركات الذكاء الاصطناعي بصورة ملحوظة منذ عام 2023، بالتزامن مع الانتشار الواسع لتطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي واحتدام المنافسة بين الولايات المتحدة والصين على تطوير الرقائق الإلكترونية والقدرات الحاسوبية.

ويرى خبراء أن هذا التحول يعكس تغيراً جوهرياً في فلسفة الاستثمار السيادي، حيث باتت الاعتبارات الجيوسياسية والأمن الاقتصادي وحماية سلاسل الإمداد تحتل مكانة موازية، وربما متقدمة في بعض الأحيان، على معايير الربحية التقليدية.

ويشير التقرير إلى أن الحكومات صارت تنظر إلى الاستثمارات في الرقائق ومراكز البيانات والذكاء الاصطناعي والحوسبة السحابية باعتبارها مستقبل الاقتصاد، وليس مجرد أصول مالية، ما يفسر الارتفاع الكبير في أحجام الصفقات الموجهة لهذه القطاعات.

ويختتم كاباب التقرير بالتأكيد على أن العوامل غير السوقية أصبحت اليوم أكثر تأثيراً في قرارات الاستثمار مقارنة بأي وقت منذ نهاية مطلع تسعينات القرن الماضي.

وقال "تكتسب العوامل غير السوقية أهمية أكبر من أي وقت مضى منذ نهاية الحرب الباردة". وأضاف "إننا ندخل في نموذج جديد، وقد كانت صناديق الثروة السيادية جزءًا من هذا التغيير".

الزراعة السورية أمام اختبار جديد في مواجهة تغير المناخ

دمشق - حذرت منظمة الأغذية والزراعة (فاو) من أن الفيضانات التي اجتاحت مناطق واسعة من شمال شرق سوريا أواخر مايو الماضي وجهت ضربة جديدة للقطاع الزراعي.

ويأتي ذلك في وقت لا يزال فيه المزارعون يواجهون تداعيات أكثر من عقد من الصراع والجفاف وتدهور البنية التحتية، مما يهدد الأمن الغذائي وسبل عيش آلاف الأسر الريفية.

وصرح مسؤولون وخبراء في فاو لوكالة شينخوا بأن الأمطار الغزيرة التي ضربت المناطق الزراعية المنخفضة، ولاسيما في محافظة الحسكة، تسببت في غمر مساحات واسعة من الأراضي والقرى، وإلحاق أضرار كبيرة بشبكات الري، إلى جانب إجبار آلاف السكان على مغادرة منازلهم مؤقتا.

وجاءت الفيضانات في توقيت بالغ الحساسية، إذ تزامنت مع استعداد المزارعين لحصاد محصول القمح، الذي كان يُعوَّل عليه لتعويض سنوات من تراجع الإنتاج بسبب موجات الجفاف المتكررة.

بيرو توماسو بيري

الفيضانات أضافت عبئا لقطاع يعاني أصلا من هشاشة شديدة

إلا أن هذه الكارثة حولت الآمال بتحقيق موسم جيد إلى خسائر جديدة في واحدة من أهم مناطق إنتاج الحبوب في سوريا.

ووفقاً لتقديرات فاو، أتلفت الفيضانات نحو 10 آلاف هكتار من حقول القمح التي كانت على وشك الحصاد، ما ألحق أضراراً مباشرة بنحو 6 آلاف أسرة زراعية، وأدى إلى خسارة تقدر بحوالي 30 ألف طن من القمح.

وقال ممثل منظمة فاو بالإنابة في سوريا بيرو توماسو بيري إن "الفيضانات أضافت عبئاً جديداً إلى نظام زراعي يعاني أصلاً من هشاشة شديدة".

وأوضح أن المزارعين السوريين يواجهون منذ سنوات تحديات متراكمة تشمل تضرر شبكات الري، واضطراب الأسواق، وتكرار موجات الجفاف، وارتفاع معدلات الفقر.

وأكد أنه بحاجة إلى دعم عاجل لاستعادة قدرتهم على الإنتاج، يشمل إصلاح مضخات الري المتضررة، وتوفير بذور المحاصيل قصيرة الدورة، والأسمدة، وأعلاف الماشية، والخدمات البيطرية، بما يساعدهم على استئناف النشاط قبل حلول الموسم المقبل.

وأشار إلى أن الزراعة السورية صارت أكثر عرضة لتداعيات تغير المناخ، وأن المشكلة لم تعد تقتصر على شح الأمطار أو غزارتها، بل تمتد إلى تزايد التقلبات المناخية وعدم انتظام المواسم.

وهذا الوضع يتطلب استثمارات طويلة الأجل في أنظمة زراعية أكثر قدرة على التكيف، إلى جانب الاستجابة الإنسانية الطارئة.

وأوضح أخصائي برامج الأمن الغذائي في المنظمة جاسبر مويسيغوا أن آثار الفيضانات تجاوزت خسائر المحاصيل، لتشمل فقدان آلاف الأسر لمصادر دخلها وإمداداتها الغذائية في الوقت نفسه.

وحذر من أن استمرار هذه الأوضاع قد يدفع الأسر الأكثر هشاشة إلى تبني وسائل تكيف سلبية، مثل بيع الأصول الإنتاجية أو تقليص الإنفاق على الغذاء والتعليم.

> **10**
> آلاف هكتار من حقول القمح التي كانت على وشك الحصاد أتلفتها الفيضانات المفاجئة في مايو

وقال إن "تقديم الدعم الفوري يمثل أولوية لضمان قدرة المزارعين على الاستعداد للموسم الزراعي المقبل"، مشيرا إلى أن أي تأخير في الاستجابة سيؤدي إلى تعميق الأزمة الاقتصادية والاجتماعية في المناطق المتضررة.

ووضعت المنظمة خطة للطوارئ وتعزيز القدرة على الصمود للفترة بين عامي 2026 و2028، تستهدف تقديم الدعم إلى نحو 9.8 مليون شخص.

وتتطلب الوضعية نحو 286.7 مليون دولار، بهدف تمويل برامج الاستجابة الطارئة، والتعافي المبكر، والتنمية الزراعية القادرة على التكيف مع تغير المناخ.

كيف السبيل للخروج من الورطة

التصعيد الإقليمي يهدد فائض معروض النفط في 2027

باريس - حذرت وكالة الطاقة الدولية الجمعة من أن التصعيد الأحدث في المواجهات بين الولايات المتحدة وإيران قد يقوض توقعاتها بوجود فائض كبير في سوق النفط خلال العام 2027.

ويأتي هذا التقييم المتشائم في وقت ارتفعت فيه الإمدادات العالمية خلال شهر يونيو مع إعادة فتح مضيق هرمز، لكنها ظلت دون مستويات ما قبل الحرب.

وقالت الوكالة إن "أسواق النفط العالمية وجدت متنفسا الشهر الماضي بعدما أسهم اتفاق وقف إطلاق نار مؤقت بين الولايات المتحدة وإيران في إعادة فتح المضيق".

وأدى إغلاق هرمز الفعلي خلال ذروة أكبر أزمة لإمدادات النفط في التاريخ إلى تعطيل تدفقات نفط خام بلغت في بعض الفترات نحو 14 مليون برميل يوميا.

وأوضحت المنظمة الأممية التي تقدم المشورة للدول الصناعية، ومقرها باريس، أن إمدادات النفط العالمية ارتفعت بمقدار 4.1 مليون برميل يوميا خلال يونيو، لكنها ظلت أقل بنحو 9.4 مليون برميل يوميا مقارنة بمستويات ما قبل الحرب.

وتوقع خبراؤها أن ترتفع الإمدادات العالمية بمقدار 7.5 مليون برميل يوميا خلال العام المقبل، بعد انكماش بنحو 3.7 مليون برميل يوميا هذا العام، لكنها أكدت أن تحول هذا السيناريو إلى حقيقة يعتمد على تحسن حركة عبور ناقلات النفط عبر مضيق هرمز.

وأفادت الوكالة بأن التصعيد العسكري الذي شهدته المنطقة يومي السابع والثامن من يوليو يلقي بظلال من الشك على هذه التوقعات، وقد ينهي السيناريو الذي يفترض تحول سوق النفط إلى فائض خلال العام المقبل.

وشددت على أن "التوصل إلى اتفاق سلام دائم يعد شرطا أساسيا لعودة أسواق النفط إلى أوضاعها الطبيعية".

> **4.62**
> مليون برميل يوميا فائض العام المقبل مقارنة بعجز متوقع قدره 860 ألف برميل يوميا هذا العام

وتشير التوقعات لعام 2027 إلى أن المعروض النفطي سيتجاوز الطلب بنحو 4.62 مليون برميل يوميا، مقارنة بتقديرات بعجز يبلغ 860 ألف برميل يوميا هذا العام، شريطة أن يتمكن المنتجون من إعادة تشغيل الحقول المتوقفة وأن تستأنف المصافي شحنات المنتجات النفطية بصورة طبيعية.

وترى الوكالة أن الطلب العالمي على النفط سيتراجع مليون برميل يوميا هذا العام، قبل أن يعاود النمو مسجلا زيادة بمليوني برميل يوميا في العام المقبل.

العرب
السبت 2026/07/11
السنة 49 العدد 13858

السيادة الرقمية العربية بين الطموح والواقع المتشرذم.. هل تكفي النوايا؟

التركيز على السيادة الرقمية تحول مهم من الدفاع إلى الهجوم في المجال الإعلامي

يشكل التركيز على السيادة الرقمية فرصة تاريخية للدول العربية لاستعادة زمام المبادرة في مجال الإعلام. لكن تحقيق هذا الهدف يظل مرهوناً بقدرة القادة على تجاوز الخلافات وتحويل النوايا إلى برامج عمل ملموسة، خاصة مع اقتراب انعقاد الدورة الوزارية في طرابلس.

الإنجازات تتطلب أكثر من التصريحات

القاهرة - تصدر بند السيادة الرقمية العربية أجندة النقاشات في الاجتماعات التحضيرية في القاهرة للدورة الـ56 لمجلس وزراء الإعلام العرب المقررة في طرابلس بليبيا منتصف سبتمبر المقبل، وسط إدراك متزايد بأن السيطرة على الفضاء الرقمي أصبحت أولوية استراتيجية للدول العربية في مواجهة التبعية التقنية للمنصات العالمية.

أكد السفير أحمد رشيد خطابي، الأمين العام المساعد ورئيس قطاع الإعلام والاتصال بالجامعة العربية، أن الاجتماعات تهدف إلى وضع ضوابط واضحة وشفافة للتعامل مع الشركات الإعلامية العالمية الكبرى.

ويشمل ذلك حماية البيانات والموروث الحضاري والشخصية الجماعية العربية، إلى جانب مواجهة التأثيرات الخارجية على الرأي العام. كما تبحث الاجتماعات إعداد مشروع قانون عربي استرشادي لتنظيم عمل المؤثرين وصناع المحتوى الرقمي، بالإضافة إلى دور الذكاء الاصطناعي في الإعلام وآليات مكافحة التضليل.

يأتي هذا الاهتمام في سياق تبعية رقمية واضحة تعاني منها الدول العربية، حيث تسيطر المنصات العالمية على الخوارزميات وتجمع بيانات المستخدمين، مما يؤثر على الانتخابات والرأي العام. كما أظهرت الأزمات الإقليمية الأخيرة في فلسطين ولبنان واليمن كيف يمكن لهذه المنصات أن تكون أداة للتضليل أو قمع السرديات العربية.

ومن هنا يُنظر إلى السيادة الرقمية كوسيلة لتعزيز التشريعات الموحدة ودعم المحتوى العربي وحماية الأمن القومي.

ومع ذلك، تواجه هذه الجهود تحديات كبيرة، أبرزها صعوبة التنفيذ الفعلي بسبب اختلاف التشريعات الوطنية بين الدول، وضغوط الشركات العالمية التي قد تلجأ إلى الانسحاب أو رفع الأسعار. كما يثير البعض مخاوف من أن يُستخدم مفهوم السيادة الرقمية كغطاء لتقييد الحريات الصحافية والتعبير عن الرأي، خاصة في ظل نقص القدرات التقنية المحلية والاعتماد على خبرات أجنبية.

عبدالله الغامدي

السيادة الرقمية ليست خياراً، بل أصبحت ضرورة

وترتبط السيادة الرقمية ارتباطاً وثيقاً بدعم القضية الفلسطينية، إذ تبحث الاجتماعات خططاً لنشر السردية الفلسطينية وصيانة الوضع التاريخي للقدس عبر منصات عربية أكثر استقلالية بعيداً عن الرقابة الغربية أو التحيزات الخوارزمية.

وإذا نجحت الدورة الـ56 في إخراج إطار تشريعي عملي وآليات تنفيذية واضحة، فقد تشكل خطوة نوعية نحو إعلام عربي أكثر استقلالية وتأثيرا.

ويمثل الاهتمام المتزايد بالسيادة الرقمية العربية تحولاً استراتيجياً نوعياً في التعامل مع الفضاء الإعلامي. فبدلاً من الاكتفاء بالدفاع عن السرديات العربية أمام المنصات العالمية التي تسيطر على الخوارزميات والبيانات، يسعى وزراء الإعلام العرب إلى بناء قدرات هجومية تسمح بفرض قواعد عربية موحدة.

ويعكس التحول إدراكاً بأن المعلومة أصبحت سلاحاً جيوسياسياً، وأن الاعتماد على شركات أجنبية يعرض السيادة الوطنية والثقافية لمخاطر حقيقية، خاصة في ظل الأزمات الإقليمية التي تتطلب رواية عربية مستقلة وقوية. غير أن نجاح هذا التحول يعتمد أساساً على الإرادة السياسية المشتركة بين الدول العربية. فالتنسيق بين التشريعات الوطنية والقدرة على تنفيذ آليات مشتركة لمراقبة المنصات وتنظيم المحتوى الرقمي يتطلب إرادة حقيقية تتجاوز الاجتماعات الشكلية.

كما يتوقف النجاح على القدرة التقنية والمالية لتحويل النصوص القانونية إلى واقع ملموس، مثل إنشاء منصات عربية بديلة أو فرض ضوابط فعالة على الشركات العالمية دون الوقوع في فخ الرقابة المفرطة التي قد تقيد حرية التعبير.

في هذا السياق، أكد السفير أحمد رشيد خطابي أن "وضع ضوابط واضحة ومرتكزات شفافة في التعامل مع الشركات الإعلامية العالمية أصبح ضرورة ملحة لتكريس السيادة الرقمية العربية وحماية الموروث الحضاري". وشدد على أن هذه الخطوة تأتي ضمن مقاربة تشاركية تهدف إلى الارتقاء بالمشهد الإعلامي العربي لمواكبة التحديات الراهنة.

من جانبهم، يرى خبراء في مجال الإعلام الرقمي أن النجاح يتطلب أكثر من التصريحات. وأشار عبدالله الغامدي، رئيس الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي (سدايا)، إلى أن "السيادة الرقمية ليست خياراً، بل ضرورة لضمان ألا تملى علينا قيم خوارزمية غريبة عن مجتمعنا".

أما خبراء مثل صبحي شبيب، المتخصص في الذكاء الاصطناعي والتحول الرقمي، فيؤكدون أن "الذكاء الاصطناعي لم يعد مجرد أداة لتحسين الكفاءة، بل يتطلب استثمارات دائمة في البحث والتطوير لتحقيق سيادة رقمية حقيقية".

كما حذر خبراء آخرون من أن غياب التوافق السياسي قد يحول الجهود إلى أدوات للرقابة الداخلية بدلاً من الدفاع عن المصالح العربية المشتركة.

قانون الإعلام في لبنان يفرق بين الصحفيين وناشطي مواقع التواصل

بيروت - أقرت اللجان النيابية المشتركة في مجلس النواب مشروع قانون الإعلام الجديد يوم الخميس، وذلك بعد نحو 16 عاما من النقاشات والتأجيلات المتكررة، حيث دعا رئيس المجلس نبيه بري إلى اجتماع هيئة مكتب المجلس الإثنين المقبل تمهيدا لعقد جلسة عامة لإقرار القانون نهائيًا.

ويُعد القانون، الذي يتألف من 129 مادة، محاولة جادة لتحديث قانون المطبوعات القديم الذي لم يعد يواكب التطورات الرقمية والتحديات الإعلامية المعاصرة.

بدأت رحلة القانون عام 2010 باقتراح تقدم به النائب السابق غسان مخيبر بالتعاون مع مؤسسة "مهارات". مر النص بمسار معقد شمل عشرات الجلسات في لجنة الإدارة والعدل ولجان فرعية مختلفة، مع محاولات متكررة لتعديله أو تأجيله.

وفي أبريل 2026 أعيد فتح النقاش بتقديم اقتراح مشابه من النائب غازي زعيتر، مما أدى إلى تشكيل لجنة فرعية برئاسة النائب إلياس بوصعب لمعالجة النقاط الخلافية. أنهت اللجنة الفرعية عملها مؤخرا ورفعت تقريرها إلى اللجان المشتركة التي أقرته أخيرا. ورحبت منظمات دولية مثل اليونسكو بالصياغة النهائية ودعت إلى إقراره سريعا في المجلس.

ومن أبرز بنود القانون إلغاء التوقيف الاحتياطي بشكل مطلق في قضايا الإعلام، وإلغاء محكمة المطبوعات واستبدالها بغرف مدنية متخصصة في المناطق. كما يعرف القانون الإعلامي بوضوح على أنه من يعمل في مؤسسة إعلامية ويشكل عمله مصدر دخله الأساسي، مما يساعد في التمييز بين الصحفيين والناشطين على وسائل التواصل.

ويلغي القانون شرط وجود عشرة مساهمين على الأقل في المؤسسات الإعلامية، ويشدد على مواجهة خطاب الكراهية والأخبار الكاذبة من خلال إمكانية إقفال المؤسسات المخالفة.

وأكد بوصعب بعد الجلسة أن القانون أقر بلا اعتراض، وأنه بات جاهزا للهيئة العامة. وقال "هذا مسار طويل... وصلنا إلى نتيجة جيدة، وسنرفع تقريرا... وسنعقد لجانا مشتركة خلال هذا الأسبوع لرفع هذا التقرير إلى الهيئة العامة". وأضاف أن القانون "يحاكي العصر الذي نعيشه"، ويحمي حرية الإعلام والصحافة مع التشدد مع من يدّعي المهنة ويثير الفتن. كما أشار إلى أن الرئيس بري يفكر في دعوة الهيئة العامة في وقت سريع.

وأثنى وزير الإعلام بول مرقص على الجهد التشريعي وقال إن القانون "يشكل هدية للإعلاميين" بعد 15 سنة من النقاش. وأكد أنه "يخلف قانوناً أصبح عمره ثلاثين سنة وغير قابل للتطبيق"، وأن "الحرية الإعلامية مصونة تحت حمى القانون مع حماية الإعلاميين وحقوقهم وحرياتهم". وشدد على أن رئيس مجلس النواب نبيه بري يدفع باتجاه إنجاز هذه المسيرة التشريعية.

من جانبه دعا بري إلى اجتماع هيئة مكتب المجلس الإثنين تمهيدا لجلسة عامة الأسبوع المقبل لإقرار القانون، مما يعكس دعمه لإنجازه سريعا.

إقرار القانون سيمثل فرصة لتعزيز حرية التعبير ومكافحة التضليل، مع الحفاظ على التوازن بين الحرية والمسؤولية

ورغم الإيجابيات أثارت بعض المواد مخاوف منظمات حقوقية وصحفية، خاصة تلك التي تتعلق بالملاحقة الجزائية في حالات النشر الكاذب أو التشهيري، بالإضافة إلى بنود تتعلق بحقوق النقابات.

ورحبت منظمات حقوقية وصحفية، على غرار مهارات واتحاد الصحفيين، بالتقدم لكنها حذرت من بعض التعديلات التي قد "تمس بمبادئ قام عليها اقتراح القانون"، ودعت إلى إلغاء المقاربة الجزائية في قضايا القدح والذم، وحماية سرية المصادر، وضمان استقلالية الهيئة الناظمة، وتعزيز حرية التنظيم النقابي.

ويؤكد معدو القانون أنه يلغي التجريم الجزائي للقدح والذم ويستبدله بغرامات مدنية، لكن الجهات الحقوقية تحذر من إمكانية استخدام نصوص فضفاضة لتقييد الحريات.

وسيمثل إقرار هذا القانون فرصة تاريخية للبنان لتعزيز حرية التعبير وحماية الصحفيين ومكافحة التضليل، مع الحفاظ على التوازن بين الحرية والمسؤولية. ومع اقتراب الجلسة العامة، يترقب الجميع التصويت النهائي، الذي سيكون اختبارا حقيقيا للإرادة الإصلاحية في مجلس النواب.

كيف نقل صناع المحتوى الجغرافيا السياسية من مراكز الدراسات إلى يوتيوب

رانيا عبدالعاطي
كاتبة مصرية

القاهرة - عندما تتصاعد الحروب أو تتغير موازين القوى بين الدول لم يعد الكثير من المتابعين العرب يكتفون بمتابعة نشرات الأخبار التلفزيونية أو تصفح العناوين العاجلة على وكالات الأنباء بل اتجه قطاع واسع منهم إلى يوتيوب ومنصات البودكاست بحثا عن إجابات لأسئلة أكثر تعقيدا؛ لماذا اندلعت هذه الحروب؟ وكيف تشكل الجغرافيا والاقتصاد والطاقة قرارات الدول؟ وإلى أين يمكن أن تتجه الأحداث؟

هذا التحول لم يعد مجرد تغير في وسيلة الحصول على الأخبار بل يعكس تغيرا أعمق في طبيعة العلاقة بين الجمهور والمعلومة السياسية؛ أصبح الخبر وحده غير كاف وبات المتابعون يبحثون عن التفسير والسياق والخلفية التاريخية بقدر اهتمامهم بالوقائع اليومية.

وعلى امتداد العقود الماضية ظلت مهمة تفسير العلاقات الدولية وتحليل الصراعات الكبرى محصورة في مراكز الدراسات والجامعات والصحف المتخصصة والبرامج السياسية المطولة، لكن الثورة الرقمية ومنصات الفيديو أعادت رسم هذه الخريطة وفتحت المجال أمام جيل جديد من صناع المحتوى الذين استطاعوا تقديم الجغرافيا السياسية بلغة أكثر بساطة وجاذبية دون التخلي عن العمق في الكثير من الأحيان.

ولم يكن هذا النجاح استثناء محليا بل أصبح جزءا من تحول عالمي في صناعة المعرفة وباتت منصات مثل يوتيوب تنافس وسائل الإعلام التقليدية في تقديم التحليل السياسي ووصلت إلى جمهور لم يكن معتادا على قراءة الدراسات الأكاديمية أو متابعة البرامج الحوارية الطويلة، ولا يعني ذلك أن المنصات الرقمية حلت محل المؤسسات البحثية لكنها أصبحت جسرا ينقل المعرفة المتخصصة إلى جمهور أوسع ويعيد صياغتها في قالب يعتمد على الحكاية والصورة والخرائط واللغة القريبة من الحياة اليومية. ومنح هذا الجغرافيا السياسية حضورا غير مسبوق خارج الأوساط الأكاديمية.

قبل أن تظهر التجارب العربية كان العالم يشهد تحولا واضحا. تعد قناة كاسبيان ريبورت التي أسسها الباحث الأذري إيلخان ناتيق أوغلو أحد أبرز الأمثلة، حيث اعتمدت على الخرائط والخلفيات التاريخية وتحليل المصالح الإستراتيجية لتفسير أسباب الحروب والتحالفات بعيدا عن الضجيج الإخباري اليومي، أما جوني هاريس فقدم أسلوبا يجمع بين الصحافة الاستقصائية والفيلم الوثائقي القصير مستخدما السرد البصري والرسوم المتحركة، واتخذت ريال لايف لور مسارا ينطلق من أسئلة تبدو بسيطة مثل لماذا تخشى الدول فقدان موانئها لتقود إلى مناقشات معقدة تربط بين الجغرافيا والاقتصاد والديموغرافيا والسياسة.

ورغم اختلاف الأساليب تشترك هذه التجارب في الاعتماد على الحكاية بدلا من المحاضرة والخرائط بدلا من النصوص المطولة والربط بين التاريخ والحاضر، وأثبتت أن الجمهور لا ينفر من الموضوعات المعقدة بل من الطريقة التي تقدم بها.

وفي الساحة العربية برزت نماذج محلية ناضجة تستفيد من التجارب العالمية مع ربطها بالواقع العربي. يبرز في هذا السياق طاهر المعتز بالله الحاصل على ماجستير إدارة أعمال من هارفارد الذي بنى حضورا متناميا عبر محتوى يركز على الصراعات الدولية والتحولات الجيوسياسية بلغة تجمع بين العمق والسرد القصصي والأسلوب الساخر، مستفيدا من خبرته في الكتابة التاريخية ومشاركته في الدحيح أخبارا عالمية بنكهة محلية خلال التوترات الأخيرة بين إيران وإسرائيل، حيث قدم سلسلة حلقات ناجحة حول مضيق هرمز وأسواق الطاقة وإستراتيجيات الردع بالإضافة إلى تحليلات حول الحرب الروسية – الأوكرانية ومستقبل النظام الدولي.

يوتيوب وبودكاست أصبحا شريكين جديدين لشاشات الأخبار في تشكيل الوعي العربي بالشأن العام والدولي

فيما سعى الإعلامي المصري عبداللطيف المناوي إلى تقديم رؤية أخرى اعتمدت على الحوار الهادئ والمتعمق مع شخصيات مثل الدكتور محمد عثمان الخشت حول أزمة العقل العربي وسلم التطرف. أما محمد ممدوح في قناة سامري فيقدم رصدا سريعا ومباشرا لما تنقله الصحافة العالمية.

وبين هذه المسارات الثلاثة، السرد الجيوسياسي والحوار المتعمق والرصد السريع، تتضح ملامح مشهد إعلامي رقمي عربي ناضج يلبي احتياجات جمهور متنوع، وتدعم هذه الظاهرة بيانات يوغوف التي تشير إلى أن نحو 56 في المئة من المصريين و60 في المئة من السعوديين يستمعون إلى البودكاست بانتظام مع تركيز واضح بين الشباب.

جاء هذا التنوع متزامنا مع أكبر موجة اضطرابات سياسية وعسكرية ساعدت خوارزميات المنصات على انتشار المحتوى الطويل والقصير معا.

وقبل سنوات قليلة كان فهم مفاهيم مثل توازن القوى أو الردع يتطلب جهدا أكاديميا كبيرا أما اليوم فقد أصبح الوصول إليها أسهل وأصبحت هذه المنصات بوابة أولى لفهم العالم قبل الانتقال إلى مصادر أعمق.

ومع ذلك يطرح هذا الاتساع تحديات حول حدود التبسيط وأهمية المصادر الموثوقة والالتزام بالمعايير المهنية خاصة في قضايا الحروب والأزمات، ومع استمرار التحولات العالمية يبدو الطلب على هذا التنوع مرشحا للنمو أكثر.

في النهاية نجح صناع المحتوى في نقل الجغرافيا السياسية من مراكز الدراسات إلى يوتيوب والبودكاست مما جعل يوتيوب والبودكاست شريكين جديدين في تشكيل الوعي العربي بالشأن العام والدولي، ودخلت المعرفة السياسية مرحلة جديدة أصبحت فيها أقرب إلى الناس وأكثر تنوعا.

من يفسر العالم للعرب خارج شاشات الأخبار

العرب
السبت 2026/07/11
السنة 49 العدد 13858

حماس تتخلى عن السلطة بعد أن أصبحت السلطة بلا معنى

فاضل المناصفة
كاتب فلسطيني

قد لا يكون الإعلان عن تخلي حركة حماس عن إدارتها المدنية لقطاع غزة هو الحدث الأهم بحد ذاته، بل توقيته. فبعد نحو عقدين من إدارة القطاع، وسنوات طويلة من الحروب والحصار والمواجهات، يأتي الحديث عن تسليم السلطة في لحظة تبدو مختلفة تمامًا عن كل ما سبق. وإذا كان هذا التحول يعكس إدراكًا بأن مرحلة ما بعد الحرب تحتاج إلى ترتيبات سياسية جديدة، فإنه يثير في المقابل سؤالًا لا يمكن تجاهله: هل جاء هذا القرار بعد فوات الأوان؟

السؤال لم يعد يقتصر على شكل الإدارة المقبلة، سواء كانت حكومة تكنوقراط أو أي صيغة أخرى، بل أصبح يتعلق بالحصيلة السياسية لسنوات كاملة من الحكم

لقد ربطت حماس طوال سنوات بين السلطة والمقاومة، ورفضت في محطات عديدة التخلي عن إدارة القطاع رغم الضغوط والانقسامات والحروب المتكررة. واليوم، بعد أن بلغت الحرب الأخيرة مستوى غير مسبوق من الدمار والخسائر الإنسانية، يبدو أن الكرسي الذي دافعت عنه الحركة طويلًا لم يعد يحمل المعنى نفسه. وهنا يستحضر كثيرون المثل الشائع: "بعد خراب مالطا"؛ أي أن المراجعة تأتي بعدما دفعت غزة أثمانًا باهظة يصعب تعويضها.

السؤال لم يعد يقتصر على شكل الإدارة المقبلة، سواء كانت حكومة تكنوقراط أو أي صيغة أخرى، بل أصبح يتعلق بالحصيلة السياسية لسنوات كاملة من الحكم. فداخل غزة لا ينشغل الكثير من الناس بمن سيجلس على كرسي السلطة بقدر ما يتساءلون عما إذا كان من الممكن تجنب جزء من هذا المسار لو جاءت المراجعات السياسية في وقت أبكر.

خلال الأشهر الأخيرة لفت انتباه الكثير من المتابعين أن ظهور بعض قيادات حركة حماس المقيمين خارج غزة، خصوصًا في الدوحة، أصبح أقل مما كان عليه في بداية الحرب. لا توجد إجابة واضحة تفسر ذلك، وقد يكون الأمر مرتبطًا باعتبارات أمنية أو بحسابات سياسية وإعلامية أو بعوامل أخرى لا يعرفها سوى أصحاب القرار. لكن المؤكد أن أي ظهور إعلامي اليوم لم يعد يُستقبل كما كان قبل أشهر. فالجمهور الذي يتابع صور الجوع والدمار والنزوح في غزة ينظر تلقائيًا إلى كل رسالة سياسية من زاوية مختلفة، ويقرأ الصورة بقدر ما يستمع إلى الكلمات.

وتزداد هذه الفجوة عندما يُقارن موقع القيادة في الخارج بحياة سكان غزة الذي رافقها. فمنذ البداية راهنت حماس على مسارات وتحالفات ومفاوضات اعتقدت أنها قد تفرض شروطًا جديدة. لكن تطورات الحرب، وما رافقها من مسار تفاوضي ومواقف إقليمية ودولية، تطرح سؤالًا آخر: هل حققت هذه الرهانات ما كانت الحركة تتوقعه، أم أن الأحداث سارت في اتجاه مختلف تمامًا؟

لهذا يبدو أن خطاب قادة الحركة أصبح قابلا للتسويق خارج غزة أكثر فما يخرج من غزة كل يوم من صور وتقارير أصبح كافيًا لتشكيل الانطباع العام. فعندما يشاهد الناس مستشفيات عاجزة، وعائلات تبحث عن الطعام، وأحياء تحولت إلى ركام، فإنهم يتلقون أي خطاب سياسي بعين مختلفة، لأن الصورة نفسها أصبحت جزءًا من الرسالة، وربما أكثر تأثيرًا من الكلمات.

ولا يتوقف الأمر عند نتائج الحرب داخل غزة، بل يمتد إلى المسار السياسي من قابليته للتسويق داخلها. فالجمهور الذي يعيش تبعات الحرب يومًا بيوم لا يقيم الأحداث بالشعارات أو بالمعايير الأيديولوجية وحدها، بل يقيسها بما تركته من أثر مباشر على حياته وأمنه ومستقبل أبنائه. وكلما طال أمد الحرب من دون أفق واضح لإعادة الإعمار أو إنهاء المعاناة، ازدادت صعوبة إقناع هذا الجمهور بأن الكلفة الباهظة كانت تقود إلى مكاسب تعادلها.

حركة حماس ربطت طوال سنوات بين السلطة والمقاومة ورفضت في محطات عديدة التخلي عن إدارة القطاع رغم الضغوط والانقسامات والحروب المتكررة

الأمر لا يحتاج إلى كثير من التفسير. فالقادة المقيمون خارج غزة يعيشون في ظروف تختلف بطبيعتها عن الظروف التي يعيشها المدنيون الذين تحملوا أعباء الحرب اليومية من نزوح وفقدان للمساكن وتدهور للأوضاع الإنسانية. ولا ينفي ذلك الضغوط السياسية أو الأمنية التي قد تواجهها القيادة، لكنه يسلط الضوء على اختلاف التجربة بين من يصوغ الخطاب السياسي ومن يعيش نتائج القرارات على الأرض.

الأمر لا يحتاج إلى كثير من التفسير

ويبقى السؤال الذي يصعب تجاوزه: هل ما زال الخطاب السياسي، من أي طرف كان، قادرًا على إقناع الناس بينما تستمر معاناة المدنيين بالوتيرة نفسها؟ قد تختلف الإجابات، لكن من الواضح أن الحرب لم تعد تُقاس فقط بما يحدث في الميدان، بل أيضًا بما تتركه من انطباعات لدى جمهور يرى في المدنيين العنوان الأول لهذه المأساة.

اليمن في معادلة الصفر الإقليمية

عبدالكريم سليمان العرجان
كاتب أردني

إن الحالة اليمنية الراهنة لم تعد مجرد نزاع محلي على السلطة، بل تحولت إلى "مختبر حركي" للتوازنات الإقليمية. إن انهيار التهدئة الهشة، الذي تبلور في الأسبوع الأول من تموز/يوليو 2026، لا يمكن فهمه بمعزل عن التحولات في هيكلية الأمن الإقليمي. إن وصفنا لهذا المشهد بـ"معادلة الصفر" ينبع من طبيعة الصراع التي تجاوزت سقف التسويات التقليدية؛ حيث بات أي مكسب سياسي لطرف ما -خاصة في سياق "شرعنة" الحضور الإيراني- يُترجم تلقائيا إلى خسارة وجودية لمشروع استعادة الدولة، مما يجعل من أي تفاهمات جزئية مجرد إطالة لأمد الأزمة بدلاً من حلها، ويحصر خيارات الفاعلين في نطاق ضيق من الخسائر المتبادلة. فاليمن اليوم يعمل كـ"صمام ضغط" في أزمة أكبر تمتد من طهران إلى البحر الأحمر.

تأتي هذه القراءة امتدادا لمسار تحليلي سابق حول تحولات الجغرافيا الإستراتيجية في المنطقة؛ إذ أشرت في ورقة نشرتها صحيفة "العرب" اللندنية في نيسان/أبريل 2025 بعنوان "البحر الأحمر وباب المندب... مفاتيح الصراع مع القوى العظمى" إلى أن هذا الممر البحري لم يعد مجرد طريق تجاري، بل أصبح ساحة تنافس على النفوذ الدولي. ثم تناولت في مقال لاحق بعنوان "لماذا يخطئ الجميع في قراءة بوصلة اليمن الجديدة" في ديسمبر 2025 انتقال مركز الثقل داخل اليمن نحو الجغرافيا الشرقية بما تحمله من موارد ومنافذ إستراتيجية. واليوم، تتضح الصورة الأوسع: اليمن لم يعد ساحة داخلية فحسب، بل أصبح عقدة رئيسية في معادلة البحر الأحمر والأمن الإقليمي.

إن وصول الرحلة الإيرانية المباشرة إلى مطار صنعاء ليس مجرد واقعة لوجستية، بل هو "اختبار جس نبض" إستراتيجي. بالنسبة إلى الحوثيين، هذا التحدي يخدم غايتين: داخليًا، إعادة إحياء "حالة الطوارئ" وشرعنة النفير العام للسيطرة على الحواضن القبلية التي بدأت تظهر تململاً من الأوضاع المعيشية. وإقليميًا، الإعلان عن "كسر الحصار" ليس إلا رسالة لخصوم إيران بأن ميزان القوى في البحر الأحمر قد تغير، وأن الممرات المائية باتت أداة ضغط سياسي لا يمكن تحييدها.

إما أن يؤدي التصعيد الراهن إلى تحويل اليمن إلى منطقة نفوذ هجين ومستقر أو إلى انفجار جيوسياسي يعيد رسم خارطة النفوذ في شبه الجزيرة العربية

يظل مضيق باب المندب "الخاصرة الرخوة" للاقتصاد العالمي. إن أي عودة للمواجهة العسكرية المفتوحة في اليمن تعني تلقائيا تحويل هذا الممر إلى ساحة "استنزاف تقني". لم تعد التهديدات حكرا على السفن التجارية، بل أصبحت أداة لتعديل شروط الاشتباك. إن بقاء الصراع في "منطقة رمادية" يخدم إستراتيجية "الإنكار المعقول" للقوى الفاعلة، حيث يُستخدم الحوثيون كوكيل إستراتيجي قادر على تعطيل سلاسل الإمداد العالمية دون استدعاء تدخل دولي مباشر ومكثف.

داخليًا، نحن أمام "مجتمع منقسم على أنقاض دولة". إن إستراتيجية مجلس القيادة الرئاسي القائمة على "الشرعية الدستورية" تواجه تحدي "الواقعية العسكرية" التي يفرضها الحوثي على الأرض. وفي مقابل هذا السعي لفرض سلطة الأمر الواقع، تبرز القبيلة كـ"صمام أمان" أو "مثير قلق" دائم؛ فبينما يحاول الحوثي توظيف النفير العام لتغيير الولاءات قسرا، بدأت هذه الحواضن في تطوير أدوات "مقاومة ناعمة" ورفض للسياسات المعيشية، مما يجعل المركزية الحوثية تعيش حالة من التوتر الوجودي؛ فهي لا تواجه معارضة عسكرية فحسب، بل تعاني من تآكل في "الشرعية الاجتماعية" التي كانت تستند إليها تاريخيًا. تنامي النشاط العسكري، واستمرار التعبئة الإعلامية، وتراجع زخم المسار التفاوضي، كلها عوامل تزيد من احتمالات الانزلاق نحو مواجهة جديدة.

يجب إدراك أن الصراع في اليمن بات "متغيرا تابعا" في معادلة الشرق الأوسط. التوتر الإيراني-الإسرائيلي، والتنافس الإيراني-الخليجي، وما يرافق ذلك من استخدام الساحات الإقليمية كورقة ضغط متبادلة، يجعل من اليمن ورقة مساومة. في المقابل تتشابك مصالح الحوثي مع أطراف إقليمية ودولية؛ فطهران تجد في اليمن ذراعا لابتزاز المحيط، بينما تغذي إسرائيل حالة عدم الاستقرار هذه لضمان استنزاف دول الإقليم في نزاعات جانبية تُبعد عنها الضغوط. إن هذه "المصالح المشتركة" لا تنتج سوى كيانات هجينة تعتاش على الفوضى، وتُحول السيادة الوطنية إلى ورقة مساومة في صراع لا يخدم في جوهره سوى أجندات الهيمنة المتقاطعة.

إن اليمن اليوم ليس أمام خيارين (حرب أو سلم)، بل أمام خيار "إعادة الصياغة القسرية". فإما أن يؤدي التصعيد الراهن إلى تحويل اليمن إلى "منطقة نفوذ هجين" ومستقر، أو إلى انفجار جيوسياسي يعيد رسم خارطة النفوذ في شبه الجزيرة العربية، ويجعل من باب المندب البوابة التي يتقرر من خلالها ثمن الاستقرار في الشرق الأوسط لعقود قادمة.

الخاصرة الرخوة للاقتصاد العالمي

في ذكرى استقلالها الـ250: هل نتحدث عن بداية عظمة أميركا أم أفول العهد الترامبي؟

د.جيرار ديب
كاتب ومحلل سياسي لبناني

في كتابه "محاضرات في فلسفة التاريخ" كان فردريك هيغل من أوائل الفلاسفة الأوروبيين الذين نظروا إلى الولايات المتحدة بوصفها "قوة صاعدة"، عندما قال "أميركا أرض المستقبل". قال ذلك وكانت الولايات المتحدة دولة فتية عمرها أقل من خمسين عامًا، ولم تكن بعد القوة الاقتصادية أو العسكرية العالمية التي أصبحت عليها في القرن العشرين. قد يكون هيغل أصاب في قراءته حول مستقبل الولايات المتحدة، ولكن هل كان ليقول ذلك لو عاصر جنون السياسة الترامبية؟

تحتفل الولايات الأميركية اليوم بذكرى الاستقلال الـ250، وسط تصريحات لرئيسها الذي لا يزال يصرّ على جعلها "عظيمة"، ويعتبر أنّه وضعها على السكة الصحيحة، لكنها لم تزل في بداية المسار. إذ أكد ترامب أنه "لن يسمح بسقوط الولايات المتحدة"، معتبرًا أن "لا شيء لا يستطيع الأميركيون فعله".

الشعارات وحدها لا تكفي لتأكيد ذلك، ففي الوقت الذي يلقي ترامب كلمته في هذه الذكرى والعالم يتغير من حوله، يميّز الداخل الأميركي بين أميركا أرض الأحلام والسياسة الترامبية العابرة. وهذا ما يشهد عليه صعود مرشحين تقدميين مقربين من عمدة نيويورك، زهران ممداني، الذين يحققون انتصارات بارزة في الانتخابات التمهيدية للحزب الديمقراطي، إذ أطاح هؤلاء لأول مرة بمنافسيهم المدعومين من قيادات مؤسسة الحزب واللوبيات السياسية في المدينة التي كانت تعتبر مقربة من ترامب.

لا يا سيد ترامب، أميركا قد لا تسقط، لكن ما سيسقط حتمًا هو تلك "النرجسية" المتعالية التي لم تستطع عرقلة ممداني في الوصول إلى منصب عمدة نيويورك، وها هي الآن تقف عاجزة أمام هذا المدّ التغييري من الداخل، الذي بدأ على شكل موجات معترضة على سياساتك العبثية المنعكسة سلبًا على حياة الأميركيين؛ من موجة احتجاجات ضد الإبادة الإسرائيلية في غزة، إلى ترحيلك القسري للمهاجرين، وصولًا إلى مغامرتك الفاشلة في مضيق هرمز التي دفعتك إليها إسرائيل، ولم تعرف كيف تخرج منها.

لا أحد يريد سقوط أميركا، فهي دولة عظمى حتمًا، لكن الجميع يريد إسقاط الاستفراد بالقرار الأحادي. وإن زمن القطبية الأحادية الذي تغنى به المفكر الأميركي فرانسيس فوكوياما في كتابه "نهاية التاريخ"، يصطدم اليوم بعالم يتخبط حضاريًا كما قال صموئيل هنتنغتون في كتابه "صدام الحضارات". فأن تتخطى برقية الرئيس الروسي فلاديمير بوتين التهنئة لترامب لتكون رسالة واضحة حول مسؤولية روسيا وأميركا، كأكبر قوتين نوويتين، في ضمان الأمن والاستقرار العالمي، لا يعني أن واشنطن وحدها العظيمة.

تواجه السياسة الخارجية الأميركية التي تديرها الترامبية العبثية تحديات خرجت عن مفهوم المؤرخ اليوناني القديم ثيوثيديدوس حول "القوة الصاعدة والفارضة". وقد أوضح ذلك الرئيس الصيني شي جينبينغ في دعوته ترامب إلى ضرورة التعاون مع الصين لوضع أسس للمنافسة الاقتصادية، مؤكّدًا أن الصين لم تعد دولة صاعدة، بل منافسة تتطلع إلى فرض الشراكة على المسرح العالمي.

لم يستطع ترامب إخماد نار الحروب الثماني التي تغنى بإنهائها. فعلى سبيل المثال، لا تزال الحدود الأفغانية-الباكستانية تشهد مناوشات عسكرية قابلة للتدهور سريعًا. كما أن التفرد في القرار جعل حلفاء واشنطن الرئيسيين يبتعدون عن تقديم الدعم، وما حصل في مضيق هرمز شكّل صدمة لإدارة ترامب ليس فقط بسبب الرفض الأوروبي المشاركة في ضرب إيران، بل أيضًا بسبب منع بعض الدول، وعلى رأسها إيطاليا، استخدام قواعدها الجوية لتزويد الطائرات بالوقود.

واشنطن ليست في مرحلة الأفول، لكن السياسة الترامبية هي التي فتحت المجال لتراجع الدور الأميركي. فالأمر لا يرتبط بالعسكرة فقط، بل بالدولار الذي لطالما شكّل عملة ضاغطة وأداة معاقبة بيد الأميركيين، وبدأ يتراجع أمام ليس فقط عمليات الالتفاف على العقوبات الأميركية، بل أيضًا أمام سياسات مجموعات الاقتصاد والمال العالمي مثل بريكس أو شنغهاي، باستبدال التبادل بالدولار بعملات محلية أو بالعملات المشفرة.

لن تسقط الولايات المتحدة، فالجميع يحتاج نظامها الديمقراطي، لكن دورها تراجع في ظلّ التبدلات الدولية. ما يدعو إليه ترامب قد يرتبط بشخصه، إذ شهدت ثروته قفزة هائلة لتصل إلى نحو 6.5 مليار دولار بعد أن كانت تقدر بـ2.3 مليار، مدعومة بمكاسب استثمارية ضخمة وأرباح من العملات المشفرة. لهذا يرى الديمقراطيون في ذلك فرصة سانحة، مدفوعين بقاعدة جماهيرية متوترة، يصورون هذه الثروة المتزايدة على أنها فساد ودلالة على استغلال المنصب. وقد غيّر الكثير من المرشحين رسائلهم الانتخابية وتعهدوا بمكافحة مثل هذا السلوك، بحسب تقرير لـ"وول ستريت جورنال". فهل سقوط الترامبية هو ما بدأ فعلا؟

استراتيجية ترامب تقوم على استعادة الهيمنة الأحادية لكنها تواجه تحديات دولية وإقليمية ما يجعل سقوط الترامبية احتمالًا قائمًا رغم استمرار قوة أميركا المؤسسية

كرة القدم مسرح للعنصرية

أسامة رمضاني
رئيس تحرير
العرب ويكلي

من مفارقات كأس العالم لكرة القدم أنها في الوقت الذي تفجر فيه طاقات الإبداع الرياضي تفجر أيضا النزعات العنصرية في الملاعب وخارجها.

من البديهي أن العنصرية في مباريات كرة القدم ظاهرة قديمة ولم تنشأ خلال كأس العالم الحالية ولا خلال الدورات الأخيرة التي سبقتها. ولكن الأضواء التي تسلط على مباريات كأس العالم والإقبال الجماهيري الواسع على فعالياتها تجذب الانتباه نحوها وتحيي الجدل حولها.

كرة القدم ليست بمنأى عن السلوكيات العنصرية التي لا زالت منتشرة في المجتمعات الحديثة بحكم التصورات النمطية والرواسب التاريخية التي تطفو على السطح من حين إلى آخر رغم الجهود الرامية إلى استئصالها.

توفر مدارج الملاعب مسرحا ملائما للنزعات العدوانية المصبوغة بالعنصرية. فالحماس المفرط الذي يبلغ حد التعصب والعنف على هامش مباريات كرة القدم يوحي لبعض الجمهور بأنه في حل من كل القيود الأخلاقية. واكتظاظ الملاعب يوفر له ستارا يطلق من ورائه الشعارات والصرخات العنصرية من فوق المدارج.

الستار نفسه تمنحه شاشات الكمبيوتر والهواتف النقالة لمن يريد استغلال منصات التواصل الاجتماعي لبث سرديات الكراهية.

خلال الدور الأول من كأس العالم الحالية أحصى الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) ما يزيد عن 89 ألف منشور على منصات التواصل الاجتماعي تتضمن إساءات للآخرين، أي بنسبة تفوق ثلاث عشرة مرة ما تم تسجيله خلال الفترة نفسها من كأس العالم الماضية.

وتضمنت قرابة 11 في المئة من هذه المنشورات الإلكترونية إساءات ذات طابع عنصري.

تبدو بعض المواقف العنصرية امتدادا لغياب الروح الرياضية عند الهزيمة. ولكن المشكلة تتجاوز غياب الروح الرياضية. فبعض المشجعين من مقترفي الإساءات العنصرية لا يستهدفون بإساءاتهم أفراد الفرق المنافسة لفريقهم المفضل فقط بل أيضا عند الخسارة لاعبي الفرق التي يساندونها، وذلك لمجرد كونهم لاعبين سودا في فرق لم تفز في مبارياتها.

أما عند المباريات الدولية التي تخوضها المنتخبات الوطنية فيبرز أيضا عاملا الشوفينية والشعبوية من جملة العوامل التي تحرك السياسيين بالخصوص.

ربما يفسر ذلك الموقف الفج الذي عبرت عنه نائبة بمجلس شيوخ باراغواي عقب خسارة بلادها ضد فرنسا وقالت فيه إن اللاعب الفرنسي كيليان مبابي ذا الأصول الكاميرونية والجزائرية "شخص جاهل لم يرضع حليب أمه وإنما عصير جوز الهند مع القردة الذين تربى معهم".

مثل هذه المواقف العنصرية تتناقض مع النهج المعولم للرياضة الذي يتدرج نحو تجاوز كامل للاعتبارات العرقية في تركيبة المنتخبات الوطنية. جعلت موجات الهجرة والتجنيس المتتالية في كل مكان الاعتبارات المتعلقة بالأصول القومية أو الدينية للاعبين أمرا منتهيا، باستثناء البعض ممن يسبحون عكس التيار.

من بين هؤلاء حارس مرمى باراغواي السابق خوزي لويس شيلافارت الذي اشتكى من كون بلاده سوف تتبارى مع "فريق من أفريقيا" عند مقابلتها مع فرنسا. ومن بينهم كذلك الرئيس الأميركي دونالد ترامب الذي وجد نفسه في تناقض مع مواقفه السياسية عندما تدخل من أجل فسخ عقوبة بالمنع من اللعب تلقاها لاعب أميركي من أصول نيجيرية.

نجح ترامب في إلغاء العقوبة بعد مكالمة هاتفية مع رئيس فيفا، لكنه لم ينجح في إزالة الانطباع بأنه يتناقض مع مبادئه السياسية في دفاعه عن لاعب اكتسب جنسيته الأميركية بمقتضى ولادته على التراب الأميركي في إطار حق دستوري يسعى الرئيس ترامب لإلغائه.

يأمل الكثيرون أن يؤشر احتضان المغرب لكأس العالم سنة 2030، بالاشتراك مع إسبانيا والبرتغال، على انبلاج مناخ جديد من التسامح بين الأمم والحضارات.

ولكن الشعارات المعادية للإسلام التي أطلقها الجمهور الإسباني خلال المباراة التحضيرية لكأس العالم التي أجراها المنتخب المصري ضد نظيره الإسباني في أبريل الماضي لفتت الانتباه إلى استمرار النزعات العنصرية في بعض المدارج الأوروبية. وقد ندد النجم الإسباني من أصول مغربية يامين يامال بتلك الشعارات لاحقا واصفا إياها بأنها "تنم عن الجهل والعنصرية".

من الواضح أن وسائل الإعلام تتحمل جانبا من المسؤولية عن استمرار الأفكار المسبقة التي تحرك العنصرية. تقول دراسة أجريت خلال كأس العالم لسنة 2018 إن 70 في المئة من تعليقات الصحافيين تثني على إبراز الخصال الجسدية للاعبين السود فيما هي تثني بالنسبة نفسها تقريبا على الخصال الذهنية والتكتيكية لما يتعلق الأمر باللاعبين البيض.

تجدد الجدل حول هذا الموضوع عندما صرح المدرب الفرنسي للمنتخب البلجيكي بأن الفريق السنغالي ينتمي إلى "تلك الفرق التي تفقد توازنها التكتيكي خلال الفترة الأخيرة من المباراة".

قال منتقدو هذا المدرب إن كلامه يتضمن تعميما نمطيا يستنقص من القدرات الذهنية للفرق الأفريقية ويندرج في نطاق سردية تجعل الأساليب التكتيكية الناجعة حكرا على فرق أوروبا وأميركا اللاتينية وتحصر قدرات اللاعبين الأفارقة في قوتهم البدنية.

ويلاحظ المرء أن الكثير من الصحافيين الرياضيين العرب لا يبتعدون كثيرا في تعاليقهم عن اتباع هذا الخط نفسه بالإلحاح على اعتماد الفرق الأفريقية على قوتها الجسدية وما يتولد عنها من خشونة في اللعب.

لكن العديد منهم أيضا يبدي قناعة بأن الفرق العربية والأفريقية تعاني من هشاشة نفسية تجعلها تفقد التركيز في الدقائق الأخيرة من مبارياتها بما يجعلها تنقاد إلى انهيارات محبطة لأنصارها وهزائم غير مبررة. ونقطة الضعف هذه ليست من باب التهيؤات العنصرية، بل تستدعي علاجا خارج نطاق التصدي للتمييز والكراهية.

اكتظاظ الملاعب ستار لإطلاق الشعارات العنصرية

هل يمتلك الشرع وصفة المعجزة الاقتصادية السورية؟

من القطيعة إلى الانفتاح

علي قاسم
كاتب سوري

رفع اسم دولة من قوائم العقوبات أو من التصنيفات السياسية الأميركية لا يغير حياة المواطنين بين ليلة وضحاها، لكنه يغيّر الطريقة التي ينظر بها العالم إلى تلك الدولة. ومن هذه الزاوية، لا يمكن قراءة التحول الأخير في العلاقة بين واشنطن ودمشق باعتباره مجرد تعديل قانوني أو دبلوماسي، بل باعتباره بداية اختبار تاريخي لقدرة سوريا على الانتقال من اقتصاد الحرب إلى اقتصاد الدولة.

بعد أكثر من عقد من العزلة والعقوبات والانهيار الاقتصادي، تجد سوريا نفسها أمام فرصة لم تكن متاحة منذ سنوات طويلة. وإذا اكتملت الإجراءات الأميركية الخاصة بإنهاء تصنيفها ضمن الدول الراعية للإرهاب، فإن ذلك لن يكون نهاية الأزمة، بل بداية مرحلة جديدة عنوانها استعادة الثقة الدولية. فالأسواق العالمية، والمصارف، وشركات التأمين، وصناديق الاستثمار، لا تتحرك فقط وفق المؤشرات الاقتصادية، بل أيضا وفق الإشارات السياسية والقانونية التي تحدد مستوى المخاطر.

لكن التاريخ يعلمنا أن الفرص لا تتحول تلقائيا إلى إنجازات. فكم من دولة خرجت من العزلة لتعود إليها سريعا، وكم من بلد تلقى مساعدات ضخمة من دون أن ينجح في بناء اقتصاد منتج. لذلك فإن السؤال الحقيقي لا يتعلق بما ستفعله الولايات المتحدة أو أوروبا، بل بما ستفعله دمشق بهذه الفرصة.

منذ توليه قيادة المرحلة الانتقالية، حاول الرئيس أحمد الشرع تقديم رؤية مختلفة عن الاقتصاد السوري. ففي خطاباته وتصريحات فريقه الاقتصادي، لم يعد الحديث يقتصر على إعادة الإعمار، بل أصبح يدور حول إعادة بناء إقتصاد الدولة نفسها. والفرق بين المفهومين جوهري. فإعادة الإعمار تعني إصلاح ما دمرته الحرب، أما إعادة بناء الاقتصاد فتعني إنشاء نموذج جديد قادر على خلق الثروة وجذب الاستثمار وتحقيق النمو.

هذا التحول في الخطاب يعكس إدراكا بأن سوريا لا تستطيع الاعتماد إلى الأبد على المساعدات الخارجية أو المنح الدولية. فالمساعدات قد تمنع الانهيار، لكنها لا تصنع نهضة اقتصادية. أما التنمية المستدامة فتحتاج إلى قطاع خاص نشط، واستثمارات طويلة الأجل، ومؤسسات عامة قادرة على إدارة الاقتصاد بكفاءة وشفافية.

رفع التصنيفات والعقوبات يفتح أبواب الثقة الدولية لكنه لا يصنع نهضة تلقائية؛ النجاح يتوقف على قدرة دمشق على تحويل الفرصة إلى إصلاحات مؤسسية

وتشير تقديرات المؤسسات الدولية إلى أن إعادة إعمار سوريا قد تتطلب مئات المليارات من الدولارات، وهي أرقام تجعل من المستحيل تقريبا الاعتماد على التمويل الحكومي وحده. ولهذا يصبح جذب الاستثمارات الخاصة، العربية والدولية، شرطا أساسيا لأي مشروع اقتصادي جاد. غير أن المستثمر لا يقرأ البيانات السياسية فقط، بل يقرأ أيضا جودة المؤسسات، واستقلال القضاء، ووضوح التشريعات، وسهولة تحويل الأموال، واستقرار سعر الصرف، وقدرة الدولة على حماية العقود.

ولعل أكثر ما يلفت الانتباه في الخطاب الاقتصادي الجديد هو استحضار تجارب مثل سنغافورة وكوريا الجنوبية، بوصفها نماذج لدول انتقلت من الفقر والاضطراب إلى الاقتصادات المتقدمة. لكن هذه المقارنة ينبغي أن تُقرأ بحذر. فنجاح تلك الدول لم يكن نتيجة تدفق الأموال وحده، بل ثمرة إصلاحات مؤسسية عميقة، واستثمار كثيف في التعليم، وسياسات صناعية واضحة، وإدارة عامة تتسم بالكفاءة والانضباط.

وربما تبدو تجربتا فيتنام ورواندا أكثر قربا إلى الحالة السورية. فقد خرج البلدان من حروب مدمرة وانقسامات عميقة، لكنهما نجحا، بدرجات مختلفة، في تحويل الاستقرار السياسي إلى بوابة للنمو الاقتصادي عبر الانفتاح على الاستثمار، وتحديث الإدارة، وإعادة بناء الثقة بين الدولة والقطاع الخاص. وهذا هو التحدي الحقيقي الذي يواجه سوريا اليوم: ليس مجرد إعادة بناء الجسور والطرق والمصانع، بل إعادة بناء العلاقة بين الدولة والاقتصاد.

فالمعجزات الاقتصادية لا تبدأ عندما تتدفق الأموال، وإنما عندما تقتنع الأسواق بأن الدولة دخلت فعلاً مرحلة جديدة، وأن قواعد اللعبة لم تعد رهينة الأزمات أو القرارات الاستثنائية. وهذا تحديدا هو الاختبار الذي ينتظر دمشق في السنوات المقبلة.

إذا كانت إعادة بناء الثقة هي الشرط الأول لأي نهضة اقتصادية، فإن السؤال التالي يتعلق بمصدر رأس المال الذي سيقود هذه النهضة. فمن غير الواقعي الاعتقاد بأن الحكومات أو المؤسسات الدولية وحدها قادرة على تمويل إعادة إعمار بلد خرج من حرب امتدت سنوات طويلة. التجارب الحديثة تشير إلى أن التحولات الاقتصادية الكبرى تبدأ عندما يقتنع المستثمر بأن المخاطرة أصبحت محسوبة، وأن الدولة انتقلت من إدارة الأزمات إلى إدارة التنمية.

في الحالة السورية، قد لا يكون المستثمر الأجنبي هو أول من يطرق الباب، بل السوريون أنفسهم. فخلال سنوات الحرب تشكلت جاليات سورية واسعة في دول الخليج وأوروبا وأميركا الشمالية، ونجح آلاف رجال الأعمال والمهنيين في تأسيس شركات واستثمارات وخبرات تراكمت خارج البلاد. هذه الكتلة البشرية والاقتصادية تمثل اليوم أحد أهم الأصول التي تمتلكها سوريا، ليس فقط بسبب رؤوس الأموال التي يمكن أن تعود، بل بسبب المعرفة الإدارية والتقنية والعلاقات التجارية التي اكتسبتها في الأسواق العالمية.

وليس هذا استثناءً في التاريخ الاقتصادي. فقد لعبت الجاليات دورا محوريا في صعود اقتصادات مثل الصين والهند وأيرلندا، حيث كانت استثمارات المغتربين أول الجسور التي أعادت الثقة بالاقتصاد المحلي، قبل أن تتبعها الشركات العالمية. وغالبا ما يكون المستثمر الذي تربطه بالبلد علاقة ثقافية أو عائلية أكثر استعدادا لتحمل المخاطر في المراحل الأولى من الانتقال، شرط أن يشعر بأن البيئة القانونية أصبحت أكثر استقرارا، وأن حقوقه ستكون مصانة.

لكن عودة رأس المال السوري لن تكون مسألة عاطفية أو وطنية فحسب. فالاستثمار في النهاية قرار اقتصادي تحكمه حسابات الربح والمخاطرة. ولذلك فإن الرسالة التي تحتاج دمشق إلى توجيهها لا ينبغي أن تقتصر على الدعوة إلى العودة، بل يجب أن تُترجم إلى إصلاحات ملموسة: قوانين استثمار حديثة، ونظام ضريبي واضح، وإجراءات إدارية سريعة، وقضاء مستقل قادر على الفصل في النزاعات التجارية بعيدا عن التعقيدات البيروقراطية.

المغتربون السوريون ورأس المال المحلي يمثلون ركيزة أولى للاستثمار شرط أن تضمن الدولة بيئة قانونية مستقرة قادرة على حماية العقود وتحفيز التنمية

ولا يقل الموقع الجغرافي لسوريا أهمية عن رأس المال. فعلى امتداد التاريخ لم تكن البلاد مجرد سوق داخلية، بل مفترق طرق يربط بين الخليج وتركيا والعراق والأردن وشرق المتوسط. هذا الموقع، الذي تحول خلال سنوات الحرب إلى عبء بسبب انقطاع طرق التجارة وتراجع حركة النقل، يمكن أن يستعيد قيمته إذا عاد الاستقرار السياسي والأمني. فالعالم يشهد اليوم سباقا على إنشاء ممرات تجارية جديدة تربط آسيا بأوروبا، وعلى تطوير شبكات النقل والطاقة والخدمات اللوجستية، وسوريا تقع في قلب هذه الخرائط.

إن تحول سوريا إلى مركز لوجستي إقليمي ليس فكرة رومانسية، بل احتمال اقتصادي واقعي إذا توافرت الشروط المناسبة. فإعادة تشغيل الموانئ وربط السكك الحديدية وتأهيل الطرق الدولية وتطوير المناطق الصناعية يمكن أن تمنح الاقتصاد السوري مصادر دخل تتجاوز النموذج التقليدي القائم على الزراعة أو التجارة المحلية. فالدول التي تستفيد من موقعها الجغرافي لا تعتمد فقط على ما تنتجه، بل أيضا على ما يمر عبرها من تجارة وخدمات واستثمارات.

ويتزامن ذلك مع تحولات عميقة تشهدها اقتصادات الخليج. فالمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة وقطر، وغيرها من الدول، لم تعد تنظر إلى الاستثمار الخارجي بوصفه أداة مالية فقط، بل بوصفه جزءا من إستراتيجية لبناء شبكات اقتصادية إقليمية أكثر ترابطا. وإذا نجحت سوريا في استعادة الاستقرار، فقد تجد نفسها جزءا من هذه الرؤية الجديدة، سواء عبر مشاريع البنية التحتية أو الطاقة أو المناطق الصناعية أو سلاسل الإمداد الإقليمية.

غير أن الانضمام إلى هذا الاقتصاد الإقليمي الجديد لن يتحقق تلقائيا. فالدول لا تستثمر في الجغرافيا وحدها، بل في جودة المؤسسات التي تدير تلك الجغرافيا. وهنا تظهر الحقيقة التي تؤكدها معظم تجارب التنمية الحديثة: الإصلاح المؤسسي يسبق إعادة الإعمار، ولا يأتي بعدها.

لقد أنفقت دول عديدة مليارات الدولارات على إعادة بناء الطرق والمباني بعد الحروب، لكنها عادت إلى الأزمات لأن مؤسساتها بقيت ضعيفة. وفي المقابل نجحت دول أخرى في تحقيق قفزات اقتصادية لأنها بدأت بإصلاح الإدارة العامة، وتحديث النظام المصرفي، ورقمنة الخدمات الحكومية، ومحاربة الفساد، وتعزيز استقلال القضاء. فالاستثمار يبحث أولاً عن بيئة يمكن التنبؤ بها، قبل أن يبحث عن الحوافز المالية.

ولهذا فإن التحدي الأكبر أمام الحكومة السورية قد لا يكون في جمع الأموال، بل في بناء الثقة. فالمستثمر الدولي يستطيع التعامل مع دولة خرجت من حرب، لكنه يتردد كثيرا في التعامل مع دولة لا تزال قواعدها الاقتصادية والقانونية غير مستقرة. وكلما ارتفع مستوى الشفافية، وانخفضت كلفة الإجراءات، وتعززت سيادة القانون، تقلصت علاوة المخاطرة، وأصبح رأس المال أكثر استعدادا للدخول.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير
محمد أحمد الهوني

المدير العام
صلاح أحمد الهوني

مدير التحرير
مختار الدبابي

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
السبت 2026/07/11
السنة 49 العدد 13858

«يُزهر فينا» لوحات تونسية تعيد ثقتنا في الصمت

هيفاء التكوتي تفتح بألوانها منافذ للمتلقي كي يبحث عن الأسرار

لم يعد الفن التشكيلي المعاصر يكتفي بإنتاج الصورة، بل بات ينشغل بصياغة تجربة حسية وفكرية تستنطق الذاكرة والوجدان معًا. ومن هذا الأفق، تبرز المعارض الفردية بوصفها محطات تكشف تحولات الفنان ورؤيته، وتدعو المتلقي إلى إعادة اكتشاف علاقته باللون والضوء والمعنى والجمال في فضاء التأمل، وهو ما يتجسد في معرض "يُزهر فينا".

الجمال ليس ما نراه بل ما يحدث فينا

بشرى بن فاطمة
كاتبة باحثة تونسية
اختصاص فنون بصرية

بعد تجربتين بعنوان "فوضى الحواس" و"أنا والآخر" قدّمت مؤخرا التشكيلية التونسية هيفاء التكوتي بالنادي الثقافي الطاهر الحداد بتونس العاصمة معرضها الفردي الثالث "يُزهر فينا" والذي احتوى مسيرة نضج وانعكاسا بصريا لفلسفتها الفنية ومواقفها البصرية التي لخّصت فيها تجريبها وبحثها وتفاصيلها الناضجة وعبث طموحها العنيد.

تعتبر الفنانة أن "المعرض ليس مناسبة لعرض الأعمال فحسب بل هو إعلان عن تحوّل داخلي في الرؤية من المادة إلى اللون ومنه نحو السفر عبر الزمن ومراحل النضج الملوّنة".

ومن هذه التصورات اكتسب المعرض روح الانتقال من سؤال الصورة إلى سؤال الرؤية، ومن بناء اللوحة إلى بناء المجال الذي تتحرك فيه العين والذاكرة معًا، وهذا ما يفسّر العنوان كما تقول التكوتي "العنوان ليس استعارة زخرفية بل هو مفتاح لقراءة عميقة للذات، للروح، للانتماء".

الألوان والخيال والمجاز

يخلق التجوّل في المعرض والسفر عبر الأعمال تساؤلات وتأملات لذلك الفعل "يُزهر"، حيث لا يملك فاعلا خارجيا لا الأشجار تزهر، ولا الحدائق، ولا الفصول، الذات وحدها هي الحديقة، والداخل هو المجال الذي يحدث فيه التحول. أسلوب مختلف وجدل متحوّل بين التجريد والتجرّد من القوالب، تمرّد طفولي وتفصيل متكامل مكوّر في نضجه الساخر البعيد المتأمل، وهذا ما تحوّل بالعنوان إلى اقتراح فلسفي يقول لكل عابر أو ساكن في الصورة: الجمال ليس ما نراه، بل ما يحدث فينا ونحن نرى لنتأمل ولنبصر أبعد مما تقترحه اللوحة.

من خلال رؤى المعرض لا يتقدم اللون كما نراه قيمة تزيينية أو انفعالًا كروماتيكيًا، بل كما نبصر فيه كتلة تفكير، طرحا جماليا، فاللون قيمة الأشياء، يتجلى ليعيد إنتاج وجودها، إنها به لا تغطي السطح، لأنها تكشف خفاياه لذلك تبدو المساحات اللونية وكأنها تتشكل من تراكم الزمن، فلكل لون ذاكرته، ولكل شفافية أثرها، ولكل انطفاء وخفوت وإشعاع وتوهّج وظيفة داخل الإيقاع العام الذي تتحكّم فيه الفنانة وتُحكم إطلاقه حرا في اللوحة.

ما ينتاب الزائر المتأمل هو تلك الطاقة التي تسكنه وتدفعه إلى التحليق داخل الألوان والبحث عن ذلك السر وراء إزهارها العميق في تجليات بصرية تستعيد روح الانتماء إلى أزرق المتوسّط وأخضر الأرض في تفجّر مواسمها التي تنعكس على ذاكرة متوهّجة بالسؤال.

عين تتنفس

إن ما يلفت النظر في هذه التجربة هو اقتصادها في الإعلان وكثافتها في الإيحاء، فالأشكال لا تسعى إلى الاكتمال، والخطوط لا تغلق معناها، والفراغ لا يأتي ناقصا فهو عنصر إنشائي يوازي الكتلة نفسها، حيث يصبح البياض زمنًا للرؤية، كما تصبح المسافة جزءا من المعنى والعلاقة بين الأرض والسماء، شغبا داخليا، ضجة حسيّة وسكون الروح.

في هذا المستوى، تتخلى اللوحة عن مركزها التقليدي، لتصبح شبيها للفنانة في شخصها وموقفها فالعين لا تستقر على نقطة بعينها، وإنما تنتقل كما لو كانت تتنفس داخل الفضاء التشكيلي، ما يوحي بأن أزمنة تنفيذها شهدت صعودا وتأملا وهبوطا وخواء في بعض الأحيان، وقلقا وسأما وانبعاثا وأملا، لتكتمل حرّة ناضجة أو طفولية بين تراكمات المعاش بين حيرة وقلق وبين عناد وطموح.

هذه الحركية المستمرة منحت الأعمال حيوية داخلية، فلا شيء فيها يبدو نهائيا وكل عنصر فيها مكتمل، وبين اللوحة واللوحة تداخلات ومحاورات وتكاثف يخبر المتلقي أنه مهما عبر، فهو على موعد مع منافذ جديدة. هيفاء التكوتي لا ترسم موضوعًا بقدر ما ترسم أثر حضوره ولا تحاكي صورة وتسردها بل تتلاعب بأحداثها وتتأثر بتراكماتها.

النضج الذي يزهر ليس اكتساب المزيد من الحرفية أو من المهارة التقنية، بل مزيد من الثقة بالصمت، رغم الضجة والصخب، فالفنان كما تعبّر التكوتي في بداياته يشرح العالم، أما في لحظة الاكتمال فإنه يكتفي بأن يفتح نافذة عليه، ولهذا تبدو لوحات هذا المعرض أقل رغبة في الإقناع وأكثر قدرة على الاستدراج، إنها لا تمنح المتلقي صورة جاهزة، وإنما تمنحه زمنًا جديدًا للنظر.

ذاكرة داخلية

التأمل في الضوء كتكوين داخل اللوحات يحيل إلى رؤى تنهض به من دوره كمادة إنشائية لا تقل أهمية عن اللون، إلى محاكاة حسيّة تسمح للعبور أعمق داخل وجدان الفنانة، إنه لا يأتي من خارج اللوحة، بل يولد من الداخل، وكأن النور الموحي في تفاصيل التمازج يسطع بين الداكن والعميق وبين السطحي والمتوهج، وهذا لا يكون مصدرا للرؤية فحسب، بل نتيجة لها، فالضوء ذاكرة داخلية، وتأثير بصري. تقول التكوتي "هذه العلاقة الدقيقة بين الضوء واللون تمنح السطح التشكيلي ملمسًا تأمليا. العين لا تستهلك اللوحة دفعة واحدة، بل تقرأها كما تُقرأ القصيدة، لأن المعنى لا يقيم في العناصر منفصلة، بل في المسافة التي تنشأ بينها".

> اللون كائن وكيان حي ينمو ويتنفس ويغيّر إيقاعاته ويساهم في خلق الحالة الوجدانية التي تعيد ترتيب الحركة

ولعل أكثر ما يميز هذه التجربة هو أنها لا تراهن على الصدمة البصرية، ولا على وفرة العلامات، بل على إيقاع هادئ يفرض نفسه تدريجيًا بين الحركة والسكون بين الصمت والصخب، إنها أعمال تعرف أن الرؤية ليست فعلًا سريعًا، وأن الجمال ليس حدثًا مباغتًا، بل إقامة طويلة داخل العين المبصرة. وهذا التحول استطاعت به هيفاء التكوتي أن تنعكس مباشرة على البنية البصرية للأعمال وأن تستدرج عين المتلقي لتستنطق وجدانه. فالحالة التي يبلغها الكائن عندما يتصالح مع هشاشته، لا تشير إلى الخارج، إنها تنصت إلى الحديقة الداخلية التي يسكنها الإنسان، تلك التي لا تُروى بالماء، فالزمن وحده يسقيها والخبرة تخلق تماسها المتفاعل مع المكتسبات الجمالية والأدوات التقنية والأسلوب، والانكسارات التي تتحوّل بين تجربة وتجربة إلى ضوء. يبدو اللون في المعرض مادة تشكيلية مجرّدة أو عنصرا، ولكن هيفاء حوّلته إلى مفهوم، إلى كائن وكيان حي ينمو ويتنفس ويغيّر إيقاعاته ويساهم في خلق الحالة الوجدانية التي تعيد ترتيب الحركة مجددا وتستنهض البحث في التفاصيل الأعمق والبحث عن اللاموجود، ذلك الخيط الشفاف الهارب من أزمنته.

إن الانتقال التجريبي الذي قادتنا نحوه هيفاء التكوتي حملنا إلى مرحلة من النضج اللاواعي، جنوني عاقل، تغادر فيها اللوحة يقين الإجابة لتقيم داخل أسئلة التأمل، دون البحث عن إبهار العين، وإنما عن إيقاظ البصيرة، فالعمل الفني لا يفرض معناه، لا يفسّر وجوده، لأنه وجود كامل، مفتوح على احتمالات القراءة، يمنح المتلقي حرية أن يعثر على ذاته بين الظلال.

اللوحة تغادر يقين الإجابة

تلاشي الحدود

في المعرض تتحرك الأعمال بين الامتلاء والفراغ كما لو أن الفنانة تؤلف موسيقى صامتة، تحدث ضجّة في الفراغ أو مساحة للرقص، لخلق إيقاع يتردد بين الصمت والحركة، لهذا يشعر المشاهد بأن اللوحة لا تنتهي عند إطارها، وإنما تمتد داخل ذاكرته، وترافقه حتى بعد مغادرة قاعة العرض.

"يزهر فينا" تجربة يتحرر فيها الفنان والمتلقي من تبعيته للموضوع في ظاهرة إدراكية قائمة بذاتها، فاللون لا يُرى إنما يُعاش لأنه لا يستقر على سطح اللوحة، بل يتحرك داخل جسد الرؤية وما إن تقع العين على العمل حتى تكف عن أداء وظيفتها لتصبح جزءا من الحدث التشكيلي.

هنا تتحول الرؤية إلى مشاركة حسية في تشكل اللون وتبدلاته، بهذا المعنى، تؤسس تجربة فينومينولوجية يصبح فيها الإدراك فعلًا متبادلا، فاللوحة لا تعرض نفسها على العين، بل تنظر إليها أيضا وتستدرجها إلى فضاء تتلاشى فيه الحدود بين الذات وما تراه.

العين لا تستهلك اللوحة دفعة واحدة

جبران طرزي فنان لبناني برتبة فيلسوف

فنان يربط الفن التجريدي باللاهوت والجمال كخيار للخلاص الإنساني

هل يمكن للفن التجريدي الهندسي أن يتحول من مجرد قواعد بنائية صارمة إلى صلاة بصرية تتسع لهوية مشرقية كاملة؟ في عزلته الطويلة التي أثمرت ثلاثمئة لوحة، خاض الفنان اللبناني جبران طرزي كفاحا معنويا ضد قوانين السوق والحروب، ليصوغ من المربعات والدوائر لاهوتا جماليا يرى في العقل والزهد بابا وحيدا للخلاص.

خضير الزيدي
كاتب عراقي

هل باستطاعتنا كمتلقين، أن نكوّن فكرة عن الأبعاد الفلسفية للفن التجريدي الهندسي الذي أنجزه الفنان اللبناني جبران طرزي (1944 – 2010)، بحيث تكشف عن تعبير تاريخي يبين مدى تشبع الفنان بإرث أسلافه الفني؟ وحتى ولو اتخذ جبران طرزي موقفا يغلب عليه الطابع التنظيري الفلسفي الحداثي في إبداعه التجريدي؟

حتى نتمكن من الإجابة على هذا التساؤل يتوجب علينا أن نبرهن للقارئ أن الأعمال المنجزة من قبل الفنان جبران طرزي مر عليها وقت طويل. جاء الوقت الأول عبر الاشتغال البطيء التجريبي من عام 1986 إلى عام 1988 عبر تصميم مرايا وصناديق شرقية تحمل توقيعه والفترة الإبداعية التجريدية من عام 1988 إلى عام 2003، وتجلت بكل ما أنجزه الفنان في عزلته من نحو 300 لوحة فنية هندسية تجريدية، والتي أصر وحرص خلالها رفض فكرة تسويقها قطعا.

هذا القرار ينبع عن تعلق كبير بقيمة ومعاني وجوهر الفن التجريدي الهندسي وبميدان عمله وكفاحه المعنوي الذي يخالف قوانين السوق التجاري ويتحداها.

في الواقع يقدم الفنان اللبناني جبران طرزي تصورات فلسفته الفنية بوضوح لتكون وقائع عمله خالية من شوائب المنافسة مع الآخر. إنه تفكير يمضي قدما في الأخذ المباشر بسمو الفن ورسالته الخالدة. ثبت أن الفنان جبران طرزي كان زاهدا بالمال والشهرة فجوهر نظام عمله يرتهن إلى عدة تفسيرات، أولها انعكاس وجهه كمتصوف متجرد يرى في الفن تطلعا روحيا ساميا، لهذا يتخذ المقدس عنده تصورا محكوما بتقديم رؤية الفلسفة بعيدا عن الإنشاء والغنائية البصرية في العمل الفني. بمعنى أنه يتعامل مع الخطوط والأشكال التجريدية كالمربع والدوائر والمثلثات كمصدر شكلي يتابع علة مسببات الوجود في الطبيعة، وهذه النظرة الفلسفية تنتقل بالشكل من جزء تفصيلي إلى "كل" يبسط هيمنته بحكم سلسلة حالات تتشابه في الأشكال وتختلف في مميزات تجاورها بصريا وهي مغامرة تحتاج إلى دقة في العمل وبناء في تعبير الصورة.

مع هذا هنالك ما يمكن التساؤل عنه ربما يبدو منطقيا حينما نطرحه: هل الفنان جبران طرزي يؤيد فكرة أسبقية النظرية على الفن أم فرضت قوانين تنظيم الفن التجريدي الهندسي شروطا مسبقة لكي يتكون العمل الفني وفق أهمية ذلك الطرح البنائي؟

> الفنان اللبناني جبران طرزي يقدم تصورات فلسفته الفنية بوضوح لتكون وقائع عمله خالية من شوائب المنافسة مع الآخر

أعتقد أن الفنان تعامل مع اللوحة الفنية بدافع المتصوف الذي يهدف إلى طرح رؤاه حول الطبيعة والحياة والعالم بمجمله وفق نظرة تجعل من الإنسان منحازا لإنسانيته لتخطي ومداواة جروح الحرب الأهلية اللبنانية 1975 – 1990 من خلال العطاء الثقافي.

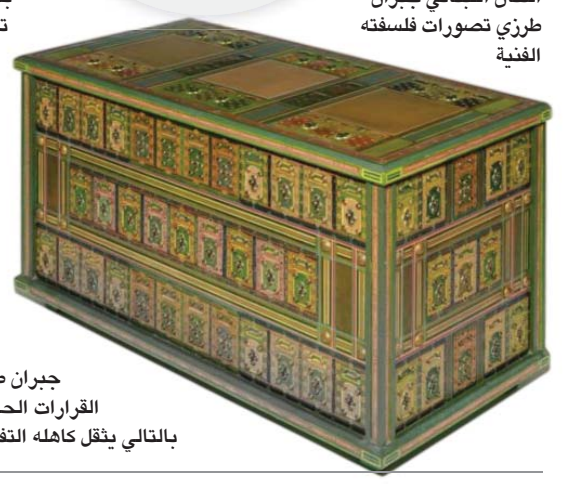

وفقا لما سلف بيانه، غدا الفنان اللبناني جبران طرزي متخذا أشد القرارات الحاسمة في مواقفه. بالتالي يثقل كاهله التفكير في "المقدس" و"الحرية" و"التبعية للآخر" ويعيدنا موقفه إلى من سبقه فهذا آتين جلسون الذي يؤكد في كتابه روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط الصادر عن مكتبة مدبولي أن "الاختيار هو أساس فعل الإرادة"، وهذا ما قدمه جبران طرزي من توضيحات في تتابع الفن والاهتمام به دون اللجوء إلى الآخر أو مقاطعته، وأعتقد أن فعل الاختيار الحر قاده إلى وجود علاقة بين التجريد الهندسي وفكرة الحقيقة.

طرزي كان يسعى بوضوح لإضافة التفكير الفلسفي بالفن ليبدو ضمن فلسفة الجمال مما يجعل ساحة العمل الفني ترتبط بتقديم اختيار "المقدس"، وهو اهتمام أخلاقي وروحي أولا قبل أن يكون تنظيرا. ويتحدث عن الإرادة لدى الإنسان أو عن مفهوم طرح الحرية في الفن والتي هي غالبا ما تقابل الضرورة، فكيف يجمع هذا الفنان في عمله الفني بين الحرية والضرورة؟

في الواقع، ثمة حرية تتوجب أن تحتمل صورة التلقائية في فعل الإرادة وهو ما طرحه في بيانه الفلسفي "رغبة الشرق" الصادر في كتابه "تنويعات هندسية" (دار الفنون الجميلة – لبنان – 2007) حينما أشار في قوله "لا خلاص خارج ثقافة بلدية أصلية مطبوعة بتصميم البحث عن الكونية".

يتبيّن على نحو معلن أن جبران طرزي وضع شرط الانتماء المشرقي لبيان هويته الإنسانية وهو تفكير يجمع بين الجزء والكل في وحدة موضوعية مرادها التفكير بالإنسان وإرادته الحرة.

ثمة ما يجمع بين المعرفة بالفن والمعرفة التي تخص الإنسان، وربما فلسفة جبران طرزي داخل منظومة العمل الفني تتخذ من طروحات دانز سكوت مثالا يحتذى به. فهذا الأخير يميل إلى تدعيم استقلال العقل بقدر المستطاع عن نظام الحس، حسب ما طرحه آتين جلسون، في كتابه "روح الفلسفة المسيحية". فلو تمت المقارنة بين نمط التفكير بين جبران طرزي ورؤية دانز سكوت سنصل إلى قناعة بأن الاثنين توجها نحو استقلالية العقل.

جبران يتعامل مع التجريد الهندسي بحكمة ونمط بصري يمثل قيمة التفكير بالعالم الخارجي، وسكوت يلخص الفرق بين مثالية العقل ضمن موضوعة المعرفة والفروقات في نظام الحدس. وهي ليست مبادئ يمكن تصورها بقياس معين بين الاثنين إنما ثوابت أساسها التفكير بالموجودات والتصورات الذهنية والروحية.

وأتصور أن الفنون العالقة في جدران الكنائس القديمة المشرقية هي المؤثر الأول في وعي جبران طرزي، وهذا ما حداه بالقول "حينما أصمم زخرفة فنية أشعر أني السلطان المطلق الذي يسيطر على أتباعه". إذن عوالم فن الزخرفة المشرقية وتجلياتها الروحية ضمن نظامها البنائي استطاعت أن تثير الاهتمام المتزايد في وعيه. وكأنه أسير فن قديم لا يريد الخروج فيه عن حياة أسلافه من المسيحيين المشرقيين ممن أحيوا فكرة المقدس في حياة الصورة الفنية.

إننا ندرك مدى أهمية التزام الفنان بخياراته اللاهوتية الرؤيوية، لكن نقطة التحديد التي تهمنا هي ما تجلت في براعة الأعمال الفنية المقدمة في اشتغاله التجريدي والتي تتشبع بفكرة الصورة المتغيرة والخالصة وكأنها انتصار لموضوعها على حساب الاستمتاع بفكرة فن ينفض عنه اللذة ليحيي المقدس، ونتساءل هل التفكير بهذه الحدود يكشف لنا وجهة نظر جبران طرزي حيال الحياة والوجود وما يحيط الإنسان من تقلبات؟

أعتقد أن من خبر الديانة المسيحية سيعرف ثمة أفكار تؤكد أن تلك الديانة تؤثر عطاء الذات ومحاربة النفس والشهوات وتدعو كثيرا إلى تأمل العالم الآخر. مما يدفع بنا إلى العزلة عن العالم وهذا ما عاشه فناننا في أواخر حياته كأنه يبدو للجميع قد أخذ بطروحات القديس بطرس الدمياني والقديس برنار واللذين يريان أن جميع الحوافز الطبيعية تبدو شرا.

وعطفا على ذلك، الملفت من خلال نظرتنا إلى سياق حوارات الفنان السابقة عبر لقاءات صحفية عامي 1993 و1997 اللذين شهدا معرضيه الوحيدين في شارع الحمرا في بيروت في كل من غاليري "لاماتور" وغاليري "50×70" أو ضمن كتاباته المؤرخة في بيانه "رغبة الشرق"، أن روح التفاؤل لا تغيب عنه بل بلغت أهمية في فكره الجمالي ونظرته للوجود. لكن خيار عزلته الاجتماعية كان يعود إلى حسابات تعلو بقيمة الفن والأدب وتنهض بالمبادئ وتنسجم مع طريقة التفكير المسيحي.

ولكن أين المشكلة في طرح جبران طرزي؟ تكمن المشكلة الحقيقية في عدم معرفة الجمهور وتفهمه لطروحات الفنان ورؤيته. ونتساءل كما الآخرين لماذا لجأ طرزي إلى العزلة الاجتماعية القاسية وغابت فكرة التسويق والترويج عن ذهنه كليا بل ظل مصمما على التمسك برؤيته في مشغله؟

> طرزي وضع شرط الانتماء المشرقي لبيان هويته الإنسانية وهو تفكير يجمع بين الجزء والكل في وحدة موضوعية

وماذا فعلت الحرب الأهلية في لبنان بوجدانه؟ وكيف شلت قدرته على التفكير والفاعلية بالنشاط الفني والجمالي؟ أعتقد أن العقيدة المسيحية التي آمن بها جعلت منه منظرا يعي أهمية فكرة الخلاص من شوائب الحياة وصراع الإنسان مع أخيه الإنسان فلجأ إلى السمو والارتقاء بالفن التجريدي الهندسي كخيار يسترجع روح الإنسان الخالصة، ولكن من أين أتت هذه الفكرة؟ وكيف تم تأملها؟

لا غرابة بأن يكون جبران طرزي قد تعلق بنصوص دينية وروحية مهمة كالتي نقرأها في سفر التكوين الإصحاح الأول "ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جدا وكان مساء وكان صباح يوما سادسا". هذه الفكرة في صناعة الجمال حفزت الفنان على أن ينتج أعماله الفنية في عزلته. وهذا النص الروحي وضع جبران طرزي في زاوية حرجة ليعيد التفكير بأمرين؛ الأول عوالم العزلة والثاني خيار التفاؤل، وهذه الثنائية على وجه الدقة ما دفعته إلى خيار الاعتزاز بهويته المشرقية وخاصة في عبارته الشهيرة "من المشروع إدراك معنى المقدس من خلال العمل الإبداعي".

في الختام، أستطيع أن أستخلص من كل هذا التحليل أن النظر في التفصيل الخاص بالأشكال الفنية لأعمال جبران طرزي وفر لنا قناعة بأن الفنان مدرك لعوالم المحيط الخارجي وسلبيات المجتمع، ومدرك أن الخلاص من كل ذلك يكمن في قوة العقل والعودة إليه. وإن الرجوع إلى التفكير والتأمل بجماليات الفن يعطي النفس الإنسانية مساحة للعودة إلى التفكير في الكثير مما يربك هواجسنا.

هذا الجهد الواعي لم يكن نتاج نزوة ترى في الرسم والتخطيط له لعبة وتسلية لكسر الوقت، بل على العكس أعطى الفنان من عمره وقتا طويلا لتأمل العمل الفني وإنجاز 300 لوحة فنية، والتي تبيّن بأن الفنان سعى لإمكانية الاستمساك بخيوط جامعة بين الفن واللاهوت الفلسفي والاعتزاز بالقديم والانفتاح على التجديد. وهذا ذروة الزهد في الحياة بأنك لا تفرط في قيمك وموروثك ولكن تحرص على تجديد خطاب الفن. ففلسفته تتحقق في حضور الإنسان والإصرار على مبدئه الأساسي.

الفنان وهو يتتبع علة مسببات الوجود

خطاب المسكوت عنه في رواية «الإنكار» للروائي رشيد بوجدرة

خديجة مسروق
كاتبة وناقدة جزائرية

يخالف خطاب المسكوت عنه في رواية "الإنكار" للروائي الجزائري رشيد بوجدرة مختلف المنظومات الأخلاقية والدّينية والثّقافية الرّاسخة في المجتمع التّقليدي. وقد عُرف الرّوائي رشيد بوجدرة في نصوصه الرّوائية بخروجه عن الصّورة النّمطية المتداولة في الكتابة السّردية، بجرأة لافتة يخترق التّابو (المحظور) كصورة من صور التّحرر الابداعي.

رشيد بوجدرة روائي لا يهاب الخوض في التابوهات

رواية "الإنكار" صدرت العام 1984، مترجمة عن الفرنسية يتخطّى فيها بوجدرة الخطوط الحمراء في الثّقافة العربية. يتسلّل إلى دهاليز المجتمع التّقليدي ليقف على تناقضات الواقع والنّفاق المجتمعي، محاولا الانفلات من العرف الأدبي والثّقافي بطرقه موضوعات ساخنة كزنا المحارم والكبت الجنسي، واضطهاد المرأة والسّلطة الأبوية. كما يتعرض إلى موضوع الطّفولة المضطهدة وهو الموضوع المحوري في الرّواية، باعتبار الطّفولة أهمّ مرحلة في تشكيل حياة الفرد، ولا شكّ أنّ أعطاب المجتمع تؤثّر سلبا على نفسية الطّفل.

رشيد، الشّخصية الرّئيسة في الرّواية والسّارد للأحداث، عاش طفولة مقهورة. كان والده يعامله معاملة قاسية، كان مستبدّا يضربه ضرب الحاقد المنتقم. هذه الظروف القاسية سلبت من رشيد الحياة، حطمت كيانه وزعزعت ثقته بكل شيء. أصبح متمرّدا ناقما على واقعه الاجتماعي. ولإخراج رغباته المكبوتة كان يمارس زنا المحارم مع أخته اليهودية التّي جاءت إلى الحياة عن طريق علاقة غير شرعية مارسها والده مع امرأة يهودية.

استخدم الرّوائي موضوع زنا المحارم وهو موضوع جريء كأداة لتشريح الأمراض النّفسية التّي تتراكم عند الفرد في مرحلة الطّفولة، بسبب عوامل القهر والقمع الممارس عليه من طرف السّلطة الأبوية.

شخصيات بوجدرة المكبوتة جنسيا تنصاع إلى اللّذة الجارفة استجابة لنفسيتها الهشة فتنزل بها من مرتبة الانسانية إلى الحيوانية. زبير أحد شخصيات بوجدرة، نموذج يمثل تناقضات الواقع، يتاجر بالجنس ويتظاهر بالعفة والأخلاق. متعلم وله نفوذ سلطوي ينتمي إلى الطبقة البرجوازية. يؤدي العبادات كروتين يومي، يستيقظ باكرا لأداء صلاة الصبح في المسجد، ولكنّه لا يمنع جوارحه من ممارسة شبقيتها الحيوانية مع مومسات الحانات ودور الدعارة.

يمثّل زهير، وهو شخصية ثانوية في الرّواية، نموذجا للنّفاق الاجتماعي، فكان يمارس في شهر الصّوم طقوسه الدّينية وينقطع عن المحرّمات لمدّة شهر كامل فقط. مظاهر الاقطاع في الرّواية تجسّدت من خلال شخصية زبير الإقطاعي المستبد، ويؤكد ذلك على تكريس الفجوة الطّبقية بين أفراد المجتمع فتتسع الهُوّة بين فئتي الفقراء والأثرياء، وأضاحي العيد أحد المظاهر التّي تعبّر عن التّفاوت الطّبقي في هذا المجتمع الذّي يستحضره الرّوائي.

يكاد بوجدرة يكرّر نفسه في أغلب أعماله الروائية، باشتغاله على تيمات معيّنة. تيمة الدّم تتكرر كثيرا في سردياته، وهو مصطلح يرتبط بالعنف والقسوة يوظفه كدلالة تعبيرية تصوّر الصّراع الدّامي داخل المجتمع

> بوجدرة يتسلل إلى دهاليز المجتمع التقليدي ليقف على تناقضات الواقع والنفاق المجتمعي، محاولا الانفلات من العرف الأدبي والثقافي

الإنساني. يتحدّث عن الأضاحي التّي تساق صبيحة العيد إلى المذبح، وصورة الدّم المرعبة فتمتزج فرحة العيد بالقلق والاشمئزاز لدى الأطفال.

هذه الشعائر التي يستحضرها الرّوائي تأخذ بعدا آخر يتجاوز البعد الديني، فكبش الفداء في موضع الضعف والكائن الضّعيف لا يمكن له الدّفاع عن نفسه ومعارضة القوانين السّائدة، عليه فقط الإذعان طوعا أو كرها للسّلطة الأقوى والمُخول لها التّحكم في مصائر الضّعفاء، تمنحهم الحياة أو تغتالها.

ما يعاب على الرّوائي أنّه يوظّف الجنس كحدث أساسي يتحكّم في تطور الأحداث ومصائر الشّخصيات حيث يشغل المساحة الأكبر للرّواية بنوع من المبالغة.

رواية "الإنكار" تعبر عن إنكار بوجدرة للأعراف السّائدة في المجتمع التّقليدي، مجتمع تُضطهد فيه المرأة والطّفل، ويُهمش فيه الإنسان البسيط، وتمارس فيه العبادات رياءً ونفاقا.

خطاب بوجدرة يتجاوز مركزية الأدب باستنطاق المسكوت عنه وتفكيكه من خلال تيمات تتخطّى العرف السّائد في الثقافة العربية، ليعبّر من خلاله عن قضايا المجتمع الإنساني، ونقل صوت المهمّشين في مشاهد تمتزج بين الواقع والخيال.

العرب
السبت 2026/07/11
السنة 49 العدد 13858

الطين يبني ذاكرة السعودية العمرانية

جدران تخفي أسرار بناء ذكي، حافظ على راحة الإنسان وانسجامه مع الطبيعة

تحفظ العمارة الطينية في السعودية ذاكرة عمرانية تمتد لقرون، وتروي حكاية إنسان حوّل موارد البيئة البسيطة إلى مبانٍ نابضة بالحياة، جمعت بين القوة والجمال والوظيفة. وتكشف البيوت الطينيَّة المنتشرة من نجد إلى عسير ونجران عن عبقرية معمارية سبقت مفاهيم الاستدامة الحديثة، حيث وظفت الطين والحجارة والأخشاب لصناعة فضاءات تنسجم مع المناخ وتحافظ على هوية المكان.

الرياض - تجسد العمارة الطينية في المملكة العربية السعودية أحد أقدم أنماط البناء التي ارتبطت بتاريخ الإنسان وبيئته المحلية، إذ شكلت عبر قرون طويلة نموذجًا فريدًا لقدرة المجتمعات على التكيف مع المناخ والتضاريس، والاستفادة من الموارد الطبيعية المتاحة لإنشاء مساكن ومنشآت تجمع بين الوظيفة والجمال والاستدامة.

وتنتشر المباني الطينية في العديد من مناطق المملكة، من نجد إلى عسير ونجران والأحساء والقصيم والحدود الشمالية، حيث تكشف القرى التاريخية والأحياء القديمة عن تنوع معماري يعكس خصوصية كل منطقة، ويبرز مهارة البنّاء المحلي في توظيف الطين والحجارة والأخشاب لإقامة مبانٍ صمدت أمامَ تغيرات الزمن وحافظت على حضورها الثقافي والعمراني.

> من قلب القرى التاريخية، تعود العمارة الطينية السعودية إلى الواجهة لتثبت أن البساطة قد تصنع أعظم المنجزات العمرانية

ويعتمد البناء الطيني على استخدام مواد طبيعية تستخرج من البيئة المحيطة، وفي مقدمتها الطين الذي يشكل العنصر الأساسي في تشييد الجدران، إلى جانب الحجارة التي تستخدم في الأساسات، والأخشاب التي تدخل في صناعة الأسقف والأبواب والنوافذ. وابتكر السكان تقنيات بناء متوارثة أسهمت في تعزيز صلابة المباني وقدرتها على مواجهة الظروف المناخية المختلفة.

ويبرز الطين بوصفه مادة بناء تتميز بخصائص بيئية مهمة، إذ يوفر عزلا حراريا طبيعيا يساعد على تخفيف حرارة الصيف والمحافظة على الدفء خلال الشتاء، كما يساهم في تنظيم الرطوبة داخل المباني، وهو ما جعل البيوت الطينية خيارا عمليا وفعالا قبل ظهور تقنيات البناء الحديثة.

وتكشف تصاميم البيوت الطينية السعودية عن فهم عميق للعلاقة بين الإنسان والمكان، إذ راعى البناؤون طبيعة المواقع عند اختيار أماكن التشييد، فأنشأوا المباني وفق تضاريس الأرض، واستفادوا من اتجاهات الرياح وحركة الشمس لتحقيق الراحة للسكان، كما صمموا الأفنية الداخلية والمجالس والغرف بطريقة تلبي الاحتياجات الاجتماعية والوظيفية. وتظهر هذه الخصائص بوضوح في العمارة النجدية، حيث انتشرت البيوت الطينية ذات الجدران السميكة والأبراج المرتفعة والنوافذ الصغيرة، خصوصا في القرى التاريخية التي عكست طبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المنطقة.

واعتمد السكان على التخطيط الداخلي الذي يحقق الخصوصية، ويقسم المساحات بين مجالس الضيوف وغرف العائلة ومناطق التخزين.

وفي منطقة عسير اتخذت العمارة الطينية طابعا مختلفا ارتبط بالبيئة الجبلية، حيث أقيمت البيوت على المرتفعات وسفوح الجبال، وظهرت مبانٍ متعددة الطوابق استخدمت فيها الحجارةً والطين والأخشاب المحلية.

ونجح السكان في إنشاء قرى متكاملة تنسجم مع المدرجات الزراعية والأودية، لتصبح هذه المواقع نموذجًا للتناغم بين العمارة والطبيعة.

أما في نجران فقد قدمت البيوت الطينية نموذجا مميزا يعتمد على المساحات الواسعة والتفاصيل المعمارية المرتبطة بالهوية المحلية، إذ استخدم السكان الطين في بناء الجدران والأسقف، واعتمدوا على الأخشاب المحلية في تدعيم المنشآت، كما طوروا أنظمة تقليدية لتصريف مياه الأمطار وحماية المباني من الرطوبة.

ولا تقتصر قيمة العمارة الطينية على الجانب الإنشائي فقط، بل تحمل أبعادا ثقافية واجتماعية عميقة، إذ ارتبط بناء المنازل وصيانتها بروح التعاون بين أفراد المجتمع، وكانت عمليات إعداد الطين وتشييد الجدران وترميم المباني مناسبات تجمع الأهالي وتنقل الخبرات والحرف من جيل إلى آخر.

وتعكس الزخارف المستخدمة في بعض المباني الطينية الهوية الفنية لكل منطقة، حيث زين السكان الواجهات والأبواب والنوافذ بعناصر زخرفية مستوحاة من البيئة المحلية، مما منح المباني طابعًا جماليًا إلى جانب وظيفتها الأساسية.

وتحظى العمارة الطينية اليوم باهتمام متزايد ضمن جهود المحافظة على التراث العمراني في المملكة، حيث تعمل الجهات المختصة على توثيق المواقع التاريخية وترميم المباني القديمة وإعادة تأهيلها بما يحافظ على هويتها الأصلية، ويحولها إلى وجهات ثقافية وسياحية تستقطب الزوار. وتسعى مبادرات حماية التراث العمراني إلى إعادة تقديم العمارة الطينية باعتبارها جزءًا من الهوية الوطنية وموردا ثقافيا واقتصاديا، من خلال دعم مشاريع الترميم، وتطوير القرى التاريخية، وتعزيز حضور الحرف المرتبطة بالبناء التقليدي، بما يضمن استمرار هذه المعرفة المعمارية للأجيال المقبلة.

وتعتمد عمليات الترميم الحديثة على الاستفادة من الأساليب القديمة مع توظيف أدوات وتقنيات أكثر دقة، حيث يعاد استخدام الخلطات الطينية التقليدية، وتُعالج التشققات والأجزاء المتضررة بطرق تحافظ على الشكل الأصلي للمبنى وخصائصه البيئية. ويؤكد هذا النهج أن الحفاظ على التراث لا يعني تجميده، بل إعادة دمجه في الحياة المعاصرة.

وتقدم العمارة الطينية السعودية اليوم نموذجا عالميا للبناء المستدام، إذ تتوافق مبادئها مع الاتجاهات الحديثة التي تدعو إلى استخدام مواد طبيعية وتقليل استهلاك الطاقة وتحقيق الانسجام مع البيئة. فقد سبق البناؤون القدماء الكثير من المفاهيم المعاصرة عندما ابتكروا مساكن توفر الراحة باستخدام إمكانات بسيطة ومتاحة.

وتبقى البيوت الطينية في المملكة أكثر من مجرد مبانٍ قديمة، فهي ذاكرة حية تختزن قصص المجتمعات وتاريخ الأماكن، وتشهد على إبداع الإنسان السعودي في تحويل موارد البيئة إلى منجزات عمرانية تحمل قيم الجمال والوظيفة والاستدامة.

وبين الماضي والحاضر تستمر العمارة الطينية في أداء دورها بوصفها جسرا يربط الأجيال، ويحفظ ملامح الهوية المحلية، ويؤكد أن التراث العمراني ليس صفحات من التاريخ فقط، بل عنصر حي يمكن أن يسهم في صناعة مستقبل أكثر ارتباطا بالمكان والبيئة والثقافة.

عمارة تقاوم الزمن

هندسة مستدامة

قلعة الحصن.. تسعة قرون من صمود التاريخ السوري

حمص (سوريا) - تقف قلعة الحصن في ريف حمص الغربي شاهدة على تسعة قرون من التاريخ السوري، حاملة بين جدرانها الحجرية قصص الحروب والتحولات السياسية والتعايش الحضاري الذي عرفته المنطقة عبر العصور.

ولا تمثل القلعة مجرد بناء عسكري قديم، بل تشكل سجلا مفتوحا يوثق مراحل مهمة من تاريخ الشرق الأوسط، ويكشف عن تطور فنون العمارة الدفاعية خلال العصور الوسطى.

وترتفع القلعة فوق تل يبلغ نحو 750 مترا عن سطح البحر، وهو موقع منحها أهمية استراتيجية استثنائية، إذ مكنها من مراقبة الطرق التي تربط الساحل السوري بالمناطق الداخلية، وجعلها مركزا عسكريا مؤثرا في مختلف المراحل التاريخية التي مرت بها المنطقة.

واكتسبت قلعة الحصن مكانة عالمية عندما أدرجتها منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة "اليونسكو" على قائمة التراث العالمي عام 2006، تقديرا لقيمتها المعمارية والتاريخية، باعتبارها أحد أكثر النماذج اكتمالا لفنون التحصين العسكري في العصور الوسطى، ومثالا بارزا على قدرة الإنسان على بناء منشآت تجمع بين الوظيفة العسكرية والدقة الهندسية والجمال المعماري.

وتستعيد القلعة اليوم ذكرى واحدة من أكثر محطاتها قسوة، إذ تعرضت في الثالث عشر من يوليو عام 2013 لقصف خلال سنوات الحرب السورية، ما تسبب بأضرار كبيرة طالت أجزاء من بنائها التاريخي، إضافة إلى دمار أصاب المناطق السكنية المحيطة بها. وأثار استهداف هذا الموقع المدرج ضمن قائمة التراث العالمي مخاوف واسعة حول مصير أحد أبرز رموز الحضارة السورية.

وأوضح رئيس دائرة آثار قلعة الحصن في حمص، حازم حنا، أن القلعة تعد من أجمل القلاع في العالم وأكثرها حفاظًا على طرازها المعماري الأصلي، مشيرًا إلى أنها لا تزال تحتفظ بعناصرها الدفاعية الأساسية التي تعكس عبقرية البناء العسكري في تلك الفترة.

وبين أن مساحة القلعة تبلغ نحو 30 ألف متر مربع، وتتكون من قلعة داخلية وأخرى خارجية يفصل بينهما خندق مائي كان يمثل أحد أهم عناصر الحماية، إلى جانب الأسوار الضخمة والأبراج المرتفعة والممرات المحصنة التي صممت لتوفير أعلى درجات الدفاع والمراقبة.

ويعود تاريخ بناء القلعة إلى عام 1031، عندما أمر أمير حمص شبل الدولة نصر بن مرداس بتشييدها، قبل أن تعرف لاحقا باسم "حصن الأكراد" نسبة إلى الحامية الكردية التي أقامت فيها. وخلال فترة الحروب الصليبية، تحولت القلعة إلى أحد أهم المراكز العسكرية في المنطقة، وشهدت توسعات كبيرة عززت مكانتها كواحدة من أقوى القلاع المحصنة في العالم.

وشكلت قلعة الحصن عبر تاريخها نقطة صراع بين القوى المتنافسة على السيطرة في بلاد الشام، إذ أدركت مختلف الأطراف أهمية موقعها الاستراتيجي. وبعد استعادتها من الصليبيين عام 1271، عزز السلطان الظاهر بيبرس مكانتها العسكرية، واستخدمها قاعدة للسيطرة على الطرق التجارية والعسكرية التي تصل الساحل بالداخل السوري.

ولم تكن القلعة خلال سنوات الحرب السورية بمنأى عن الأضرار التي لحقت بالعديد من المواقع الأثرية في البلاد، حيث تعرضت بين عامي 2013 و2014 لقصف ألحق أضرارًا بالساحة الداخلية، ومدخل القلعة، والدرج المؤدي إلى الساحة المستديرة، إضافة إلى برج الظاهر بيبرس وبرج القادة والواجهة الشمالية، كما ظهرت تشققات في عدد من العناصر المعمارية.

وأكد حازم حنا أن المديرية العامة للآثار والمتاحف، بالتعاون مع منظمة اليونسكو وخبراء مختصين، عملت على تنفيذ مشاريع إنقاذ وترميم هدفت إلى معالجة الأضرار والحفاظ على المكونات الأصلية للقلعة، فيما تتواصل جهود الصيانة والتأهيل لضمان استمرار حضورها كمعلم أثري وسياحي عالمي.

> تحفظ جدران قلعة الحصن أسرار حضارات متعاقبة، وتروي قصة إرث عالمي رفض الانكسار وظل شامخا رغم القصف والدمار

ويستعيد أبناء بلدة الحصن ذكريات صعبة عاشوها خلال سنوات الحرب، حيث تحدث الدكتور محمد وهبي عن ظروف الحصار التي شهدتها المنطقة، موضحًا أنه عمل في المشفى العسكري بمدينة حمص قبل انتقاله إلى المشفى الميداني داخل القلعة خلال تلك الفترة.

وأشار وهبي إلى أن البلدة تعرضت لقصف متواصل بالطيران والمدفعية والبراميل المتفجرة، ما أدى إلى سقوط ضحايا وحدوث أضرار واسعة في المباني والبنية التحتية، معتبرًا أن استهداف القلعة لم يكن مجرد حدث عسكري، بل شكل اعتداء على رمز حضاري يتجاوز حدود المكان.

وأضاف أن نحو مئتي شخص اختفوا في ظروف غامضة أثناء محاولات إجراء تسويات عام 2014، مؤكدًا أن القلعة بقيت في ذاكرة السكان رمزًا للصمود والمعاناة في آن واحد.

وقال عمار القاضي، أحد أبناء البلدة، إن من كانوا داخل القلعة خلال فترة الحصار واجهوا ظروفا إنسانية قاسية نتيجة القصف المستمر ونقص الاحتياجات الأساسية، موضحًا أن الهجمات تسببت بأضرار كبيرة في الأبراج والأبواب والدرج الأثري، إضافة إلى اندلاع حرائق في محيط الموقع.

ورغم تلك الأضرار، حافظت قلعة الحصن على حضورها كرمز للتاريخ السوري، وظلت جدرانها الحجرية تقاوم عوامل الزمن والحرب، لتؤكد أن التراث الإنساني يمتلك قدرة استثنائية على البقاء أمام محاولات الطمس والتدمير.

وتجسد القلعة اليوم قيمة تتجاوز حدود العمارة والحجر، فهي ذاكرة جماعية تختزن مراحل من تاريخ سوريا، وشاهد على حضارات متعاقبة تركت بصماتها في هذا المكان. كما تمثل نموذجا لأهمية حماية التراث الثقافي باعتباره إرثًا مشتركًا للبشرية، ومسؤولية تقع على عاتق الأجيال الحالية للحفاظ عليه ونقله إلى الأجيال القادمة.

وتبقى قلعة الحصن شامخة فوق ريف حمص، تحمل آثار الماضي وتفتح نوافذ الأمل للمستقبل، لتثبت أن المواقع التاريخية ليست مجرد أطلال صامتة، بل روايات حية تحفظ هوية الشعوب وتروي قصصها عبر القرون.

إرث عالمي

العرب
السبت 2026/07/11
السنة 49 العدد 13858

أوروبا تفرض سيطرتها على دور الثمانية بمونديال 2026

فرنسا وإسبانيا وإنجلترا ثلاثي تقليدي مرشّح لخوض النهائي

فرضت منتخبات القارة الأوروبية على رأسها فرنسا وإسبانيا وإنجلترا سيطرتها على الدور الربع النهائي لمسابقة كأس العالم 2026 المقامة حاليا بالولايات المتحدة وكندا والمكسيك، ما يدعم حظوظ القارة العجوز في التتويج باللقب أكثر من منتخبات بقية القارات.

حظوظ وافرة لبلوغ النهائي

ميامي (الولايات المتحدة) - كان منتخب الولايات المتحدة الأميركي لكرة القدم يحلم بإحراز اللقب، وفاجأ منتخب الرأس الأخضر منتخب إسبانيا بتعادل مثير، وتألق المغرب حتى بلغ دور الثمانية، لكن عندما تصل بطولة كأس العالم إلى مراحلها الحاسمة، تفرض المنتخبات الأوروبية هيمنتها مجددا.

ومن بين بقية القارات، تبدو أفريقيا الوحيدة التي نجحت فعليا في تقليص الفجوة مع أوروبا، بينما تعاني أميركا الجنوبية من حالة جمود، وتشهد آسيا تراجعا، في حين سيكون من الأفضل لمنتخبات أميركا الشمالية والوسطى، وعلى رأسها الولايات المتحدة، أن تنظر إلى قدراتها بواقعية أكبر.

وكانت المنتخبات الآسيوية أكبر خيبة أمل في البطولة. فمن بين 9 منتخبات شاركت، لم ينجح سوى اليابان وأستراليا في بلوغ دور الـ32، قبل أن يودعا المنافسات من هذا الدور. ويبدو أن المنتخب الياباني، على وجه الخصوص، لم يحقق أي تقدم إضافي.

ففي كأس العالم التي استضافتها اليابان عام 2002، بلغ المنتخب الأدوار الإقصائية للمرة الأولى، لكنه لا يزال حتى الآن عاجزا عن تحقيق أي انتصار فيها. وربما كان وقوعه في مواجهة البرازيل بدور الـ32 سوء حظ، لكنه تقدم في النتيجة ثم تراجع بشكل مبالغ فيه، ليخسر في النهاية 1 – 2.

على مستوى الأندية، ، تطورت الكرة اليابانية كثيرا، حيث أصبح العديد من اللاعبين اليابانيين عناصر أساسية في أندية كبيرة، من الدوري الألماني إلى الدوري الإنجليزي الممتاز.

ولذلك، كان من المفاجأة أن يعجز المنتخب الوطني عن ترجمة هذا التطور إلى نجاح في البطولات الكبرى، خاصة بعدما تغلب على البرازيل وإنجلترا في مباريات ودية خلال الأشهر الماضية.

وتأهلت 9 من أصل 10 منتخبات من دور المجموعات. وقال هوغو بروس، المدير الفني لمنتخب جنوب أفريقيا، إن تتويج منتخب أفريقي بكأس العالم "مسألة وقت فقط". ومع ذلك، لم يبق في دور الـ16 سوى منتخبي مصر والمغرب، قبل أن تنتهي مغامرة المغرب في دور الثمانية بالخسارة أمام فرنسا.

> **3**
> منتخبات أوروبية ضمنت التواجد في المربع الذهبي، كما تجاوز 13 منتخبا دور المجموعات

ويطرح ذلك تساؤلا حول سبب عدم قدرة المنتخبات الأفريقية على نقل الزخم الذي حققته في دور المجموعات إلى الأدوار الإقصائية.

ولا توجد إجابة واضحة، لكن هناك ملاحظة بارزة، وهي أن معظم هذه المنتخبات ودعت البطولة في الدقائق الأخيرة من مبارياتها. فقد خسرت الرأس الأخضر أمام الأرجنتين، والسنغال أمام بلجيكا، بعد اللجوء إلى الوقت الإضافي.

كما استقبلت جنوب أفريقيا هدف الخسارة أمام كندا، ومصر أمام الأرجنتين، في الوقت بدل الضائع، بينما ودع منتخب الكونغو الديمقراطية أمام إنجلترا، وكوت ديفوار أمام النرويج، قبل أقل من خمس دقائق على نهاية الوقت الأصلي.

ويبدو أن المغرب هو المنتخب الأفريقي الوحيد القادر على الذهاب إلى أبعد من ذلك. فقبل أربع سنوات بلغ الدور قبل النهائي قبل أن يخسر أمام فرنسا، التي كررت تفوقها عليه في النسخة الحالية.

ولكن ارتباط المغرب بأوروبا يظل قويا للغاية، حيث إن 18 لاعبا من أصل 26 في قائمته ولدوا في أوروبا. وحتى المدير الفني محمد وهبي أمضى أول أربعة عقود ونصف من حياته في بروكسل. كما أن نصف لاعبي منتخبات الكونغو والجزائر والرأس الأخضر وتونس، أو أكثر، ولدوا أيضا في أوروبا.

ولا يزال المنتخب الأرجنتيني، حامل اللقب، موجودا في البطولة، مع قدر من الحظ، لكن بقية منتخبات القارة قدمت مستويات مخيبة وودعت المنافسات.

وودع المنتخب البرازيلي البطولة من دور الـ16 للمرة الأولى منذ عام 1990، في وقت لم تؤت فيه بعد ثمار عمل المدرب الإيطالي كارلو أنشيلوتي.

ويرجح أن يُتذكر منتخب باراغواي بسبب أسلوبه العنيف أمام فرنسا أكثر من تذكره بفوزه بركلات الترجيح على ألمانيا.

وودع المنتخب الكولومبي البطولة بركلات الترجيح أمام سويسرا، بينما كانت المكسيك أقوى من الإكوادور، في حين تراجع منتخب أوروغواي بشكل لافت تحت قيادة مدربه مارسيلو بيلسا.

ومن بين الدول الثلاث المستضيفة، كانت كندا الوحيدة التي تجاوزت التوقعات ببلوغها دور الـ16. وربما كان ذلك أيضا هدفا واقعيا للولايات المتحدة، لكن المنتخب الأميركي بدأ يحلم بإحراز اللقب سريعا بعد تحقيقه انتصارين في مستهل مشواره.

وساهم المحلل التلفزيوني زلاتان إبراهيموفيتش في تضخيم هذه التوقعات، بعدما كرر أكثر من مرة اعتقاده بأن الولايات المتحدة قادرة على التتويج بكأس العالم. لكن بلجيكا أعادت المنتخب الأميركي وجماهيره إلى أرض الواقع بإقصائه من دور الـ16.

وقدم المنتخب المكسيكي بطولة قوية، وربما كان سيبلغ دور الثمانية لو واجه أي منتخب إنجليزي آخر غير الفريق الذي يقوده توماس توخيل. وبالتالي، فإن خروجه لا يعد إخفاقا. أما المنتخبات الثلاثة الأخرى المشاركة، وهي هايتي وبنما وكوراساو، فقد أنهت جميعها دور المجموعات في المركز الأخير.

محمد وهبي: سنواصل المسيرة ولن نتوقف هنا

بوسطن (الولايات المتحدة) - أعرب محمد وهبي، المدير الفني للمنتخب المغربي، عن أسفه لخروج الفريق من دور الثمانية لبطولة كأس العالم لكرة القدم، المقامة حاليا في الولايات المتحدة والمكسيك وكندا، مشددا على أنه ينبغي على الجميع العمل من الآن لتحقيق إنجازات أكبر في المستقبل.

وأنهى منتخب فرنسا حلم نظيره المغربي بالمضي قدما في مونديال 2026، بعدما تغلب عليه 2– 0، ليصعد إلى المربع الذهبي في المسابقة، التي يتطلع إلى التتويج بلقبه الثالث فيها.

وفي بوسطن الأميركية افتتح كيليان مبابي التسجيل لمنتخب فرنسا في الدقيقة 60، ليرفع رصيده التهديفي في النسخة الحالية للمسابقة إلى 8 أهداف، ويتقاسم الصدارة مع الأرجنتيني ليونيل ميسي، علما بأنه أحرز هدفه الـ20 في مسيرته بالمونديال، بفارق هدف خلف ميسي متصدر الهدافين التاريخيين لكأس العالم حاليا.

وتمكن مبابي من تعويض ركلة الجزاء، التي أضاعها في الدقيقة 28، بعدما أمسك ياسين بونو، حارس مرمى المغرب، الكرة التي سددها.

وأضاف ديمبيلي الهدف الثاني لفرنسا في الدقيقة 66، محرزا هدفه الخامس في النسخة الحالية للمسابقة.

وقال وهبي في تصريحات إعلامية عقب المباراة "ينبغي علينا أن نعترف بأننا لعبنا ضد فريق قوي للغاية. عانينا كثيرا في الشوط الأول، فقد أنقذ بونو ركلة جزاء رائعة".

وأضاف المدرب المغربي "في الشوط الثاني تحسن دفاعنا، والأهم من ذلك كنا أكثر هدوءا واتزانا في التعامل مع الكرة. كنا أفضل بكثير".

وأوضح "في الشوط الأول بدا أن بعض اللاعبين كانوا يستريحون. لكننا رأينا أن هؤلاء اللاعبين أنفسهم بدأوا الشوط الثاني بقوة".

> **يجب علينا التركيز على الأساسيات، وفي حال الإصابات يمكننا الاعتماد على مجموعة أكبر من اللاعبين**

واختتم محمد وهبي تصريحاته قائلا "سنواصل المسيرة، ولن نتوقف هنا. نشعر بخيبة أمل كبيرة، كنا نطمح للمزيد، لكن يتعين علينا تقبل الأمر".

وكان المنتخب المغربي، الذي سجل ظهوره الثاني على التوالي في دور الثمانية للمونديال، يأمل في تكرار إنجازه التاريخي الذي حققه في النسخة الماضية للمونديال في قطر عام 2022، حينما كان أول فريق عربي وأفريقي يصل إلى المربع الذهبي في بطولة كأس العالم.

وكان حلم المنتخب المغربي بالتأهل للمباراة النهائية آنذاك قد توقف عقب خسارته 0 – 2 أيضا أمام منتخب فرنسا في ذلك الوقت.

ويرغب المنتخب المغربي في تحقيق حلم الجماهير العربية والأفريقية بالتتويج بكأس العالم في النسخة المقبلة للمونديال عام 2030، والتي سيشترك في استضافتها مع إسبانيا والبرتغال.

دعوات للمزيد من الاجتهاد والمثابرة

الأرجنتين تتسلح بالتاريخ أمام سويسرا لمواصلة رحلة الدفاع عن اللقب

كانساس سيتي (الولايات المتحدة) - يتطلع منتخب الأرجنتين إلى تجاوز محطة جديدة في رحلة الدفاع عن لقبه ببطولة كأس العالم لكرة القدم، عندما يتقابل مع سويسرا في دور الثمانية من البطولة المقامة في الولايات المتحدة وكندا والمكسيك.

ويتقابل المنتخبان على ملعب كانساس سيتي بعدما تجاوز منتخب الأرجنتين عقبة صعبة، بتغلبه على نظيره المصري 3 – 2 في دور الـ16 وهي نفس النتيجة التي فاز بها على الرأس الأخضر في دور الـ32 لكن مع تمديد المباراة لوقت إضافي.

وفي المقابل، بعدما هزمت سويسرا الجزائر 2 – 0 في دور الـ32، وتخطت عقبة كولومبيا بركلات الترجيح بعد التعادل 0 – 0 في دور الـ16 فإن مواجهة منتخب الأرجنتين، ستمثل تحديا جديدا بالنسبة إلى فريق المدرب موراتا ياكين، في رسم آفاق وطموحات جديدة والبحث عن تأهل تاريخي لنصف النهائي لم يحدث من قبل للمنتخب الأوروبي.

ويحمل منتخب الأرجنتين على عاتقه ليس فقط الدفاع عن لقبه، ولكن أيضا الحفاظ على كبرياء كرة أميركا الجنوبية في مواجهة الهيمنة الأوروبية، حيث لم يتبق سوى منتخبات أوروبية تشق طريقها نحو نصف النهائي، بعد تأهل فرنسا على حساب المغرب، المنتخب الأفريقي الوحيد المتبقي، بينما تلعب إسبانيا مع بلجيكا، وإنجلترا مع النرويج.

لكن طموحات الأرجنتين باتت مُكبلة بقيود الأداء غير المقنع، فقد كان البطل قاب قوسين أو أدنى من خسارة تاريخية ضد مصر، كادت تحدث لولا بعض تفاصيل الدقائق الأخيرة القاتلة.

وربما يُعتبر ذلك نوعا من إظهار الشخصية بالنسبة إلى منتخب الأرجنتين، بالإصرار على الفوز في الوقت القاتل، لكن في المقابل فإن الطريق إلى مرمى راقصي التانغو ليس صعبا، والدليل على ذلك 4 أهداف سُجلت بواسطة مصر والرأس الأخضر.

ويواصل الأسطورة الأرجنتينية ليونيل ميسي تقديم واحدة من أكثر النسخ الاستثنائية في تاريخ بطولة كأس العالم، بعدما جمع بين التأثير الهجومي الهائل والمجهود البدني الأقل بين أبرز نجوم البطولة.

ورغم أن كرة القدم الحديثة تعتمد بشكل كبير على السرعة والضغط والقدرة البدنية، فإن ميسي يثبت مرة أخرى أن الموهبة الخالصة قادرة على التفوق على كل تلك المعايير، حيث تصدر التقييمات الإحصائية في البطولة بمعدل 8.7، وهو الأعلى بين جميع اللاعبين.

وخلال المباريات الخمس التي خاضها مع المنتخب الأرجنتيني، قطع ميسي 35.87 كيلومتراً فقط بمعدل 6.88 كيلومتر في المباراة الواحدة، وهو رقم منخفض جداً مقارنة ببقية لاعبي الميدان. والأكثر إثارة أنه قطع 4.41 كيلومتر من هذه المسافة مشيا، ليصبح اللاعب الأكثر سيرا في البطولة.

كما سجل ميسي معدلات متواضعة من حيث الانطلاقات السريعة، إذ بلغ متوسط عدد الانطلاقات لديه 23 انطلاقة فقط في المباراة، بينما لم يقطع بسرعة عالية سوى 631 متراً طوال البطولة حتى الآن.

> **المدرب ليونيل سكالوني لن يجد مفرا من مواصلة الاعتماد على العناصر التي تصنع الفارق مثل القائد ليونيل ميسي**

أما منتخب سويسرا فربما يخوض المباراة بضغوط أقل، فرغم مساعيه لكتابة تاريخ جديد له في المونديال، فهو أيضا ليس لديه ما يخسره، لأنه نظريا ليس المُرشح الأوفر حظا في التأهل.

كما أن التاريخ يصب بشكل واضح في مصلحة الأرجنتين، حيث التقى المنتخبان 7 مرات من قبل، لم تشهد أي انتصار سويسري، بواقع 5 انتصارات للأرجنتين وتعادلين.

من بين تلك المواجهات مباراتان في بطولة كأس العالم، الأولى في مونديال 1966 وفازت الأرجنتين 2 – 0، والثانية في نسخة 2014، وفاز التانغو أيضا 1 – 0 ولكن بعد وقت إضافي.

ولن يجد المدرب الأرجنتيني ليونيل سكالوني مفر من مواصلة الاعتماد على العناصر التي تصنع الفارق لاسيما القائد ليونيل ميسي، الذي لم يعد يطارد الأرقام القياسية، بل الأرقام هي من تلاحقه من مباراة إلى أخرى في المونديال، بعدما سجل في كل مباريات الأرجنتين بالبطولة.

كذلك تبقى الأدوار الهجومية المؤثرة لجوليان ألفاريز، وصاحب هدف الفوز في مرمى مصر إنزو فيرنانديز، مهمة في مباراة يُتوقع أن يعتمد فيها منتخب سويسرا على تأمين دفاعي أكثر، مثلما فعل ضد كولومبيا، ولكن بشكل أكثر إحكاما.

ويأمل مورات ياكين مدرب سويسرا في أن يكون فريقه في أفضل حالاته لاسيما الحارس المتألق جريجور كوبيل، الذي قاد المنتخب إلى التأهل بتصديات مهمة، وكذلك خبرات المدافعين مثل مانويل أكانجي وريكاردو رودريجيز، والدور البارز للاعب خط الوسط جرانيت تشاكا.

لكن بجانب كل هذا يمكن أن يكون للثلاثي الهجومي رايدر وندوي وإيمبولو دور مهم في التحولات الهجومية ضد الأرجنتين على غرار مصر والرأس الأخضر، من أجل إزعاج مرمى إيميليانو مارتينيز ومحاولة التسجيل في شباكه، على أمل تحقيق المفاجأة.

عزف منفرد

العرب
السبت 2026/07/11
السنة 49 العدد 13858

جدارية عملاقة تعيد رسم وجه طرابلس

تحوّل جدارية الفنان الليبي عماد السنوسي أحد شوارع طرابلس إلى مساحة نابضة بالجمال، حيث تتناغم ألوان البحر والأرض والسماء في عمل فني ضخم يجمع بين الواقعية والرمزية، ليقدم رؤية بصرية جديدة تجعل الفن جزءا من الحياة اليومية، وتحوّل الجدار الصامت إلى حكاية مفتوحة عن الطبيعة والهوية والأمل.

لوحة تنبض بالطبيعة والهوية

طرابلس - في قلب العاصمة الليبية طرابلس، يواصل الفنان التشكيلي الليبي عماد محمد السنوسي وضع اللمسات الأخيرة على مشروع فني استثنائي يتمثل في جدارية ضخمة تمتد على مساحة 55 مترا مربعا موزعة على ثلاثة طوابق، في خطوة تهدف إلى إثراء المشهد البصري للمدينة وتحويل أحد فضاءاتها العمرانية إلى مساحة مفتوحة للفن والجمال.

ومن المنتظر أن تفتتح الجدارية أواخر الشهر الجاري في شارع 11 يوليو بطرابلس، لتقدم عملا فنيا يحمل رؤية تجمع بين جمال الطبيعة والرموز الإنسانية والهوية المحلية، من خلال معالجة بصرية تستلهم العناصر الأساسية للحياة: البحر والأرض والسماء.

ويسعى السنوسي عبر هذا العمل إلى نقل الفن التشكيلي من قاعات العرض المغلقة إلى الفضاء العام، ليصبح قريبا من الناس وأكثر ارتباطا بتفاصيل حياتهم اليومية.

وتتوزع فكرة الجدارية على ثلاثة مستويات متكاملة، حيث يخصص الطابق الأول لعالم البحر، فيقدم مشاهد مستوحاة من الحياة البحرية بتفاصيل دقيقة وألوان غنية تعكس التنوع والجمال الكامن في البيئة الساحلية الليبية. ويظهر في هذا الجزء اهتمام الفنان بالتقاط حركة المياه وتدرجات الألوان والعناصر الطبيعية التي ترتبط ارتباطا وثيقا بمدينة طرابلس وتاريخها البحري.

أما الطابق الثاني، فينتقل بالمشاهد إلى عالم اليابسة، حيث يرسم السنوسي مشهدا يجمع بين الطبيعة والتراث، من خلال تصوير انعكاسات غروب الشمس على البحر وعلى قوس ماركس، أحد المعالم التاريخية البارزة في العاصمة الليبية. ويشكل هذا الجزء حوارًا بصريًا بين الماضي والحاضر، إذ يربط جمال الطبيعة بالذاكرة المعمارية والثقافية للمدينة.

ويحمل الطابق الثالث المشاهد نحو فضاء السماء، حيث تحلق الطيور في مشهد رمزي يعبّر عن الحرية والسلام والأمل والانطلاق. ويمنح هذا الجزء الجدارية بعدًا معنويًا يتجاوز الشكل الجمالي، ليقدم رسالة إنسانية حول التطلع إلى آفاق أكثر إشراقًا، ويعكس قدرة الفن على التعبير عن القيم والمشاعر المشتركة.

واعتمد الفنان عماد السنوسي في تنفيذ الجدارية على تقنيات السيراميك والفسيفساء، وهي مواد تمنح العمل قدرة على مقاومة عوامل الزمن وتحافظ على ألوانه وتفاصيله، إلى جانب ما تضيفه من قيمة جمالية تتناسب مع طبيعة العمل الخارجي.

وأكد السنوسي أن هذا الدعم يمثل أكثر من مجرد مساهمة مادية، فهو يعبّر عن إيمان بأهمية الفن في تطوير البيئة المحيطة والارتقاء بالذوق العام وتعزيز حضور الثقافة في المجتمع.

وأوضح أن العلاقة بين الصناعة والفن يمكن أن تنتج أعمالا تحمل قيمة جمالية ووظيفية في الوقت نفسه، مشيرا إلى أن الجمال يمثل مساحة مشتركة تجمع بين الإبداع التشكيلي وجودة المواد المستخدمة في التنفيذ.

واستغرق إنجاز الجدارية نحو ثلاثة أشهر من العمل المتواصل، حيث تطلب المشروع مراحل دقيقة من التخطيط والتصميم والتنفيذ، بدءا من رسم التصورات الأولية وصولا إلى تركيب القطع وتوزيع الألوان والتفاصيل النهائية. وتعكس هذه الفترة حجم الجهد المبذول في تحويل الفكرة الفنية إلى عمل ضخم يتفاعل مع المكان ويصبح جزءًا من هوية الشارع.

ولا تمثل الجدارية مشروعًا فنيًا منفردًا فقط، بل تأتي ضمن حراك متزايد يشهده الفن التشكيلي الليبي، حيث يسعى عدد من الفنانين إلى تقديم أعمال جديدة تتجاوز الأشكال التقليدية، وتفتح المجال أمام الفنون البصرية لتكون عنصرًا حاضرًا في الفضاءات العامة والمدن.

ويعد عماد محمد السنوسي، المنحدر من مدينة هون، أحد الأسماء البارزة في الساحة التشكيلية الليبية، إذ قدم خلال مسيرته الفنية العديد من الأعمال داخل ليبيا وخارجها، وشارك في ملتقيات ومعارض فنية إقليمية ودولية. وكان من أحدث مشاركاته حضوره في الملتقى الثاني عشر للفن والجمال، حيث مثل ليبيا إلى جانب مجموعة من الفنانين القادمين من دول عربية مختلفة.

وتتميز تجربة السنوسي بتقاطعها مع خلفيته الأكاديمية في الهندسة المدنية، وهو ما ينعكس في أعماله من خلال الدقة في التكوين، والاهتمام بالبناء البصري، وتنظيم المساحات والعناصر داخل العمل الفني. ويرى الفنان أن الدراسة والخبرة يمكن أن تساعدا في تطوير الأدوات، إلا أن الموهبة تبقى الأساس الذي يمنح الفنان قدرته على الابتكار وتكوين أسلوبه الخاص.

«مقهى الخاسرين» يمسح دموع مشجعي كأس العالم

مكسيكو سيتي - في الوقت الذي كانت فيه شوارع مكسيكو سيتي تغرق في أجواء الاحتفال بعد فوز المنتخب المكسيكي على الإكوادور في كأس العالم، اختار أحد المقاهي أن يسير في اتجاه مختلف، ففتح أبوابه أمام مشجعي المنتخبات التي ودعت البطولة، ليمنحهم مساحة للمواساة وتقاسم لحظات الحزن بعد الهزائم.

ويحمل المقهى اسم "مقهى الخاسرين"، ويقع في حي كونديسا الراقي ومتعدد الثقافات بالعاصمة المكسيكية، حيث تحول إلى ملاذ خاص لعشاق كرة القدم الذين يبحثون عن مكان يخفف عنهم وطأة الخروج من المنافسات. وبدل الاحتفال بالانتصارات فقط، اختار المقهى الاحتفاء بالجانب الإنساني من اللعبة، مؤكدًا أن الهزيمة جزء لا يتجزأ من كرة القدم.

وترفع إدارة المقهى عند المدخل أعلام المنتخبات المهزومة في البطولة، في لفتة رمزية تمنح المشجعين شعورًا بالانتماء، كما تقدم مشروبات مجانية لكل من يدخل المكان مرتديًا قميص منتخب خسر مباراته. ولم تقتصر الفكرة على ذلك، إذ تحمل المناديل الورقية داخل المقهى عبارة "جفف دموعك"، في رسالة ساخرة ولطيفة لمساندة الجماهير المحبطة.

وجاءت فكرة المقهى من شركة "أوتلي" السويدية المتخصصة في منتجات بدائل الألبان، بالتعاون مع إيان إنفانتي، صاحب المقهى الذي يحمل في الأصل اسم "كومباي كافيه". ورأى إنفانتي، البالغ من العمر 38 عامًا والمنحدر من فنزويلا، أن الفكرة تناسب طبيعة مشروعه وتجربته كمهاجر يعرف جيدًا الشعور بالبعد عن الوطن وخيبة الأمل.

وقال إنفانتي إن الخسارة تترك فراغًا لدى المشجعين، وإن المقهى يحاول تقديم ما يشبه "العناق" الذي يحتاجه الجمهور بعد لحظة الانكسار الرياضي. وأوضح أن بعض الزبائن لم يفهموا الفكرة في البداية، إذ كانوا يرفضون وصف أنفسهم بالخاسرين، لكنهم سرعان ما تقبلوا التجربة بعدما أدركوا أن الهدف ليس السخرية من الهزيمة، بل تحويلها إلى لحظة تواصل ومرح.

سلمى أبوضيف تعود بـ«بنج كلي»

القاهرة - تستعد الفنانة سلمى أبوضيف للعودة إلى الشاشة الصغيرة من خلال مسلسل "بنج كلي"، الذي يجمعها بالفنان دياب في بطولة عمل درامي جديد، بعدما كشفت الشركة المنتجة عن البوستر الرسمي للمسلسل تمهيدًا لانطلاق عرضه قريبا عبر منصة شاهد.

ويحمل المسلسل طابعا اجتماعيا دراميا، إذ تدور أحداثه داخل أحد المستشفيات، حيث يتناول العديد من القضايا الإنسانية والحالات الطبية المختلفة، في إطار يمزج بين التشويق والدراما، مع تسليط الضوء على العلاقات التي تجمع الأطباء والمرضى داخل هذا العالم المليء بالمواقف الصعبة والقرارات المصيرية.

وتجسد سلمى أبوضيف خلال الأحداث شخصية طبيبة، في تجربة جديدة تضاف إلى رصيدها الفني، بينما يقدم الفنان كمال أبورية دور والدها، ما يفتح الباب أمام خط درامي عائلي يتقاطع مع الأحداث الرئيسية للمسلسل. كما يظهر دياب في شخصية طبيب، لتنشأ بين الشخصيات العديد من المواقف التي تتطور مع تصاعد الأحداث.

ويُعد "بنج كلي" أحدث أعمال سلمى أبوضيف، التي واصلت خلال السنوات الأخيرة ترسيخ حضورها في الدراما المصرية من خلال تقديم شخصيات متنوعة، حظيت باهتمام الجمهور والنقاد، وهو ما يرفع سقف التوقعات حول أدائها في هذا العمل، خاصة مع اعتماده على حبكة تدور في بيئة طبية تتطلب أداءً يجمع بين الواقعية والبعد الإنساني.

ومن جانبه روّج الفنان دياب للمسلسل عبر حسابه الرسمي على فيسبوك، حيث نشر البوستر الدعائي وعلق بلهجة محلية قائلا "استنوني في مسلسل 'بنج كلي' قريبا على أم بي سي وشاهد... واجهزوا لشوية كلام تحت تأثير البنج"، في إشارة إلى الأجواء التي يقدمها العمل.

مهرجان تيمقاد يعود بإيقاع جزائري

الجزائر - انطلقت سهرة الخميس فعاليات الطبعة الـ43 من المهرجان الثقافي الدولي تيمقاد بولاية باتنة، في أجواء احتفالية مميزة احتضنها مسرح الهواء الطلق الجديد المحاذي للموقع الأثري العريق، وسط حضور جماهيري لافت عكس مكانة هذا الحدث الفني الذي يعد من أبرز المواعيد الثقافية في الجزائر.

وجاءت عودة المهرجان بعد غياب دام ثلاث سنوات، ليظهر بحلة جديدة من خلال فضاء العروض الذي خضع لأشغال تهيئة، ما منح السهرات الفنية طابعا خاصا، وجمع بين جمال الموقع التاريخي وروح العروض الموسيقية الحديثة.

وحضر حفل الافتتاح والي باتنة رياض بن أحمد، إلى جانب محافظ المهرجان عبدالله بوقندورة، وعدد من الفنانين والمثقفين والمهتمين بالشأن الثقافي، حيث شكلت المناسبة فرصة للاحتفاء بعودة أحد أعرق المهرجانات الفنية في المنطقة.

وأكد محافظ المهرجان عبدالله بوقندورة أن المهرجان يشكل وسيلة لتثمين التراث الحضاري والتعريف بالمقومات الثقافية والسياحية للجزائر، خاصة أن الموقع الأثري الذي يحتضنه يعود إلى حضارات ضاربة في عمق التاريخ.

وأضاف أن أهداف دورة 2026 تتجاوز الجانب الفني، إذ تسعى إلى فتح مجالات للتبادل الثقافي الدولي من خلال استقبال فرق وفنانين من مختلف الدول، إلى جانب دعم الاقتصاد المحلي عبر تنشيط الحركة التجارية والخدماتية خلال فترة المهرجان، وتعزيز الحضور الرقمي عبر نقل فعاليات التظاهرة على المنصات الإلكترونية.

صباح العرب

لطيف جابالله
صحافي تونسي

المونديال ليس وعدا انتخابيّا

منذ أن دخل المنتخب المغربي قاعة الكبار في مونديال قطر، والعرب يتصرفون وكأن كأس العالم أصبحت في الطريق، لا ينقصها سوى موظف بريد يطرق الباب قائلا "تفضلوا... هذه كأس العالم لكرة القدم وصلت في طرد باسم الأمة العربية".

لكن كرة القدم، كما يبدو، لا تقرأ البيانات الختامية، ولا تهتم بالخطب الحماسية، ولا تعرف شيئا عن عبارة "ممثل العرب الوحيد". هي لعبة عنيدة، لا تمنح المجد إلا لمن يشتغل بصمت، ويجري أكثر مما يتحدث، ويخطط أكثر مما يحتفل.

المغاربة فعلوا شيئا بسيطا جدا... أقنعوا العالم بأن الوصول إلى نصف النهائي ليس معجزة سماوية، بل نتيجة عمل طويل. أما بقية العرب فقد اقتنعوا بشيء آخر: أن التقاط صورة مع إنجاز المغرب قد يختصر سنوات من التخطيط.

في كل مونديال نبدأ البطولة بعبارة "لدينا جيل ذهبي". وبعد المباراة الأولى يصبح الجيل الذهبي مجرد مجموعة واتساب تبحث عن رحلة العودة. ثم تبدأ التحليلات التي تثبت أن الحكم ظلمنا، والعشب كان طويلا، والرطوبة مرتفعة، والكواكب لم تكن في وضعية مناسبة.

العجيب أن بعض الاتحادات العربية تغير المدربين أسرع مما يغير المشجع قميص المنتخب. المدرب يصل صباحا بابتسامة، ويغادر مساء وهو يحمل حقيبة صغيرة وشيكا كبيرا. أما المشروع الرياضي فيظل في قاعة الانتظار، وأحيانا كثيرة يذوب حبره على الورق.

بعد كل إخفاق نعلن عن "خطة إستراتيجية حتى عام 2030". وعندما يأتي عام 2030 نكتشف أن الخطة نفسها تحتاج إلى خطة لإنقاذها. كأننا نبني ملعبا من الوعود، ثم نستغرب لماذا لا ترتد الكرة بشكل صحيح لصالحنا.

أما الإعلام فيبدأ البطولة وهو يتحدث عن النهائي، وينهيها وهو يحسب فرص التأهل إلى كأس العرب المقبلة. وبين البداية والنهاية، تتحول الجماهير إلى خبراء في المؤامرات الكونية، وكأن الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) اجتمع سرا ليقرر أن الكرة يجب أن تدخل في مرمانا فقط.

المنتخب المغربي كسر هذه الرواية كلها. لم ينتظر شفقة أحد، ولم يطالب العالم بالاعتراف بأمجاده قبل أن يصنعها. لعب، قاتل، أخطأ، تعلم، ثم واصل، فوصل. وهنا يكمن الفرق بين من يبني الإنجاز، ومن يكتفي بشرح أسباب غيابه.

السؤال الحقيقي ليس: متى سيفوز العرب بكأس العالم؟ بل: متى سنتوقف عن التعامل مع كرة القدم باعتبارها موسما للمفاجآت، ونبدأ التعامل معها باعتبارها صناعة كاملة؟

عندما تصبح الأكاديميات أهم من المؤتمرات الصحفية، وعندما يكون اكتشاف لاعب موهوب خبرا أكبر من تعيين مسؤول جديد، وعندما يصبح المدير الفني أكثر استقرارًا من كرسي رئيس الاتحاد، وعندما نتوقف عن اعتبار الفوز على منتخب كبير حدثًا تاريخيًا يستحق عطلة وطنية، وعندما نفهم أن الطريق إلى الكأس يبدأ من ملعب ترابي صغير، لا من أستوديوهات التحليل، يومها فقط قد يصبح السؤال منطقيا.

أما الآن، فالأرجح أن كأس العالم لا تزال تبحث عن عنوان عربي واضح، بينما نحن ما زلنا مختلفين حول لون الستائر التي سنضعها في غرفة الكأس قبل أن نعرف كيف سنصل إليها.

إلى ذلك الحين، سيبقى المشجع العربي وفيا لعادته القديمة، يشتري قميص المنتخب، ويحجز أحلامه للدور الثاني، ثم يعود إلى المنزل مبكرا وهو يردد الجملة التاريخية التي لم تخسر أي بطولة: "إن شاء الله... في المونديال القادم"!